أجاثا كريستي

سر التوأمين

ترجمة

أحمد حسن

الحرية

للنشر والتوزيع

اسم الكتـــاب	سر التوأمين
ترجـــمـــة	أحمد حسن
النـــاشــــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
	ت: ٢٦١٥٦٤٦ ـ ٥٧٤٥٦٧٩
	م: ١٢٣٨٧٧٩٢١.
رقم الإيداع	٢٠٠٧/٣٣٩٨
الترقيم الدولى	40 - 85 - 23 - 206

الحريـــة 3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة

للنشر والتوزيع 0123877921 - 5745679

سليا رافنسكروفت

نظرت مسز أوليفر إلى المرآة وهى تتطلع فى نفس الوقت إلى ساعة الموقد التى بدت لها متأخرة نحو عشرين دقيقة ثم عادت تتأمل تسريحتها.

كان الشىء الوحيد الذى يزعجها، وكانت تعرف ذلك جيداً، هو أنها كانت تغير تسريحتها بصفة مستمرة، وقد جربت كل شىء تقريباً، فقد سرحت شعرها ذات مرة على طريقة الماركيزة بومبادور، وسرحته مرة أخرى إلى الوراء لكى تكشف عن جبينها العريض المفكر، أو على الأقل كانت تأمل ذلك، وسرحته فى خصلات مرتبة، بل أنها سرحته ذات مرة بطريقة مشوشة فنية، ولكن لم يهمها اليوم نوع التسريحة التى ستقدم عليها طالما أنها تنوى أن تلبس قبعة وهو الأمر الذى ندر أن تفعله.

كانت هناك أربع قبعات فوق الرف الأخير بدولابها.. قبعتان منها كانت تخصصهما لحفلات الزواج بالذات ففى مثل هذه الحفلات كانت القبعة أمرا اجباريا.. كانت الأولى مزدانة بالريش وتتخذ شكل الرأس تماما، وتقاوم بشكل عجيب الأمطار الشديدة التى يمكن أن تهطل

فجأة فى اللحظة التى تهبط فيها من العربة أمام الكنيسة، والثانية أكثر أناقة ولا يمكن لبسها إلا لحضور حفلة زواج فى أصيل يوم جميل من أيام الصيف لأنها مزدانة ببعض الزهور وببطانة من التل الأصفر الثمين. أما القبعتان الاخريان فكانتا لكل المناسبات، أولاهما كانت مسز أوليفر تخصصها للريف وهى مصنوعة من اللباد الهافانى تليق جدا مع تايير من التويد وبلوفرين تملكهما. ومع ذلك وعلى الرغم من أنها تلبس البلوفر دائما فهى لم تكن تلبس القبعة أبدا، ولماذا تلبس القبعة وهى لا تفعل شيئا الا أن تذهب لتناول الغذاء مع بعض الأصدقاء فى الريف؟

أما القبعة الرابعة، وهى أغلاها ثمنا فكانت لها فوائد عجيبة. ولا ريب أن مسز أوليفر كانت تعتقد ذلك لانها دفعت فيها ثمنا غاليا، وكانت هذه القبعة عبارة عن عمامة مكونة من عدة طبقات من المخمل بلون الباستل يليق مع كل لون.

وترددت مسز أوليفر قليلا ثم صاحت:

– ماريا..

وأسرعت ماريا اليها.. وكانت قد اعتادت على أن تدعوها سيدتها لتسألها رأيها عندما ترتدى ثيابا للخروج.

– هل تلبسين هذه القبعة الجميلة؟

– نعم، وأردت أن أعرف هل ألبسها هكذا.. أم من الخلف؟

ارتدت ماريا خطوة إلى الوراء لترى تأثير القبعة على سيدتها وقالت:

- أظن انك لبستيها من الناحيتين أليس كذلك؟

قالت مسز أوليفر:

- نعم. هذا صحيح، وانني أعرف ذلك تماما ولكن يخامرني إحساس بأنها أحسن من هذه الناحية.

- أوه.. ولماذا؟

- لانها صممت لكى تلبس منها.. ربما بسبب هذا الظل الأزرق الذى يتمشى مع هذا اللون الرمادى وهما لونان أفضلهما بكثير عن اللونين الأخضر والأحمر اللذين فى الناحية الأخرى.

مضت مسز أوليفر عنها ولبستها من الخلف ثم أمالتها فوق رأسها قليلا ولكن النتيجة لم ترق لها ولا لماريا. وقالت الخادمة:

- أنها لا تليق عليك هكذا.. بل لا تليق على أى شخص آخر.

- كلا. اظن انني سألبسها من الجانب الصحيح.

وخلعت مسز أوليفر القبعة عن رأسها وبعد أن ساعدتها ماريا فى ارتداء ثوب من الصوف الخفيف أكلف اللون عادت فلبست القبْعة من الجانب الصحيح. وتمتمت ماريا تقول:

- أنك فى غاية الأناقة يا سيدتى.

كانت مسز أوليفر تحب ماريا لهذا السبب، فقد كانت الخادمة لا تترك فرصة إلا وتجامل سيدتها وتجزل لها فى المديح.

- أظن أنك ستلقين خطابا فى هذه المأدبة.

صاحت مسز أوليفر مذعورة:

- خطاب.. كلا بكل تأكيد. انك تعرفين جيدا أن هذه ليست عادتى.

- ظننت دائما أنهم يلقون خطابا فى مثل هذه الولائم الأدبية.

- ليست بى أنا نفسى حاجة إلى إلقاء خطاب. فلن يخلو المكان من أناس يحلو لهم ذلك ويعرفون كيف يتصرفون أفضل منى.

قالت ماريا فى إغراء:

- اننى واثقة انك تستطيعين إلقاء خطاب رائع إذا أردت.

- كلا. اننى أعرف تماما ما أستطيع أن أفعل وما لا يليق بى. سأعجز تماما عن النطق بأى خطاب سيتملكنى الاضطراب والانفعال وسأتلعثم وأردد نفس الكلمات أكثر من مرة. لن أشعر بأننى حمقاء فحسب ولكننى سأبدو كذلك حقا.

- حسنا. أرجو أن يمر كل شئ على ما يرام. أنها مأدبة كبيرة. أليس كذلك؟

أجابت مسز أوليفر فى إعياء:

- نعم. مأدبة كبيرة جدا.

وقالت تحدث نفسها:

- واننى لا تساءل لماذا اختلف إليها حقا.

ولكنها لم تعبر عن هذا الرأى بصوت مسموع لان ماريا أسرعت عائدة إلى المطبخ مذعورة إذ اشتمت رائحة المربى وهى تفور فوق الموقد.

وعادت مسز أوليفر تقول:

– أظن أن ذلك لاننى أشعر بالرغبة فى معرفة الجو فكثيرا ما دعيت إلى المآدب الأدبية، دون أن اختلف إليها أبدا.

* * *

راحت مسز أوليفر تعالج كعكة المرنج التى أمامها، وهى كعكة لذيذة تغطيها طبقة من مزيج من السكر والبيض تحب أن تتناولها بعد الأكل على وجه الخصوص، ولكن عندما يبلغ المرء سنا معنيا فانه ينبغى أن يتوخى الحذر وهو يتناول كعك المرنج وذلك بسبب الأسنان. وأسنانها جيدة طبعا ولها ميزة لا يمكن نكرانها وهى أنها لا تؤلمها أبدا، فهى أسنان جميلة متناسقة ناصعة البياض، أجمل بكثير من الأسنان الطبيعية ولكن مسز أوليفر كانت مقتنعة بأن الخامة التى صنعت منها ليست ممتازة جدا.. كانت تعتقد أن للكلاب أسنانا من العاج الحقيقى فى حين أن أسنان البشر ليست إلا من العظم أو من مادة بلاستيكية إذا كانت صناعية. مهما يكن فان من المهم ألا تزج بنفسها فى مٌوقف محرج. كانت تجد بعض الصعوبة فى أكل السلطات والمكسرات وبعض أنواع الشكولاتة والكراملة ومربى المرنج. وتتهدت فى ارتياح وهى تفرغ من آخر قطعة من الحلوى.

كانت المأدبة قد أقيمت تكريما لنساء الأدب. ولكن لحسن الحظ لم يكن جميع المدعوات من الوسط النسائى، وقد جلست مسز أوليفر بين اثنين من الجنس الأخر هما أدوين أوبين الذى طالما قدرت أشعاره، وهو رجل دمث الأخلاق اشتهر بمغامراته الكثيرة خلال رحلاته العديدة إلى الخارج وبين سير وزليا كنت، وهو رجل على جانب كبير

من الرقة والأدب ذكر لها أشياء كثيرة ظريفة بخصوص رواياتها معددا الأسباب التى أحبت من أجلها هذه الرواية أو تلك. وتقبلت كلامه شاكرة، فقد كانت ترحب دائما بإعجاب الرجال. كانت النساء عادة يبدين تأثرا فى غير موضعه وكن يكتبن لها خطابات غريبة، ولكن يجب أن تعترف أن هناك أناسا يكتبون لها من وراء البحار أشياء غير مقبولة على الإطلاق، وقد جاءتها رسالة فى الأسبوع الماضى تبدأ بهذه الكلمات: (ما أن قرأت روايتك الأخيرة (السمكة الثانية الحمراء) حتى أدركت مدى نبل عواطفك). ولم تكن مسز أوليفر مفرطة فى التواضع، وكانت ترى أن الروايات البوليسية التى تكتبها لا بأس بها فى نوعها ولكنها لم تر على الإطلاق سببا يدعو صاحبنا هذا الى أن يعتقد فى نبل عواطفها. كانت تتمتع فحسب بموهبة كتابة روايات يحب الكثير من الناس قراءتها.

وبدأ المدعوون يذهبون الى غرفة الاستقبال لاحتساء القهوة. وكانت مسز أوليفر تعرف بحكم التجربة اللحظة الخطرة.. اللحظة التى ستتهافت فيها النساء عليها ويفرضن عليها ثناء مفرطا يضايقها ويلقين عليها أسئلة كان من صعب أن ترد عليها عادة، وقد قالت لها صديقة أجنبية ذات يوم بصوتها الجدى ذى اللكنة الظريفة.

– سمعت ما قلت الآن لذلك الصحفى الشاب وأرى أنه ينقصك.. ماذا أقول.. الفخر فيما يتعلق بمؤلفاتك.. يجب أن تردى هكذا: (أوه.. نعم، اننى أجيد الكتابة.. أحسن من أى كاتب آخر يكتب الروايات البوليسية).

وقد اعترضت مسز أوليفر قائلة:

– ولكن ليس هذا صحيحا .. اننى لا أكتب روايات رديئة طبعا ولكننى مع ذلك..

– آه.. لا تردى هكذا أبدا .. يجب أن تقولى انك الأحسن حتى إذا كنت لا تعتقدين ذلك لكى يسمع العالم كله ذلك ويردده.

قالت الكاتبة تحدث نفسها أن الأمر لن يكون بمثل هذه الصعوبة فلم تكن هناك غير امرأتين أو ثلاث رحن يحملقن فيها وهن ينتظرن بلا ريب اللحظة التى تغادر فيها قاعة الطعام. ستكتفى بأن توجه إليهن ابتسامة وأن ترد عليهن ردا عاديا مثال: (جميل منك هذا القول. يسرنى أن أعرف أناسا يحبون كتبى. ثم تحاول أن تهرب منهن بعد ذلك.

ودارت عيناها بغرفة الاستقبال لعلها تجد بعض الأصدقاء أو بعض المعجبين المزعومين. ولكن المدعوين كانوا قد بدأوا يمضون نحو المقاعد والارائك، وكان الخطر وشيك الوقوع. وقد جاء فى صورة امرأة ضخمة الجسم يبدو عليها الوقار وحب السيطرة. وصاحت بصوت مرتفع:

– أوه، مسز أوليفر. ما أشد غبطتى بلقائى بك اليوم. كنت أتمنى أن أراك منذ وقت طويل. اننى أعبد كتبك، ولا أجد كلمة أخرى أستطيع أن أعبر بها عن اعجابى. وابنى هو الأخر يعبدها. أما زوجى فلم يكن يسافر أبدا من غير أن يأخذ معه على الأقل روايتين من رواياتك. ولكن لنجلس أولا فهناك أشياء كثيرة أحب أن أسألك عنها.

فكرت مسز أوليفر أن هذه المرأة ليست أبدا من ذلك النوع الذى

تستطيع أن تتعاطف معه... ولكن ما المهم؟... هذه أو غيرها؟...

ومضت معها إلى أريكة صغيرة فى ركن من الغرفة. وقالت معجبتها الجديدة بعد أن قدمت إليها القهوة:

- حسنا... ها نحن قد جلسنا... أظن أنك لا تعرفين اسمى... أنا مسز بيرتون كوكس.

أجابت الكاتبة وقد ازداد ارتباكها:

- أوه، نعم... مسز بيرتون كوكس؟... خيل إليها أنها سمعت هذا الاسم قبل اليوم... هل تكتب هى الأخرى؟.. إذا كانت تكتب فهى لا تكتب روايات بكل تأكيد... ربما تكتب فى السياسة.

- ستدهشين مما سأقوله لك، ولكننى شعرت وأنا اقرأ كتبك أنك امرأة شغوفة جدا وأنك تعرفين الطبيعة البشرية وأظن أنه إذا كان هناك من يستطيع أن يقدم لى ردا على السؤال المزعج الذى لا أعرف له جوابا فهو أنت.

- ولكننى لا أرى حقا.

غمست مسز بيرتون قطعة من السكر فى القهوة ثم قرقشتها كما لو كانت قطعة من العظم. وقالت مسز أوليفر تحدث نفسها:

- لعلها أسنان من العاج.

- أول شئ أريد معرفته هو هذا... إن لك ابنة فى العماد تدعى سليا رافنسكروفت، أليس كذلك؟

لم يسع الكاتبة إلا أن تهتف فى شئ من الدهشة:

- أوه!

كانت أما فى العماد لعدد كبير من الصبية والبنات، وكلما تقدمت فى السن عجزت عن أن تتذكرهم كلهم، فقد قامت بواجبها فى الوقت المطلوب وأرسلت إليـهم هدايا فى عـيـد الميـلاد وزارتهم فى أغلب الأحيان، وأخرجتهم فى عطلة نهاية الأسبوع من مدارسهم الداخلية واصطحبتهم إلى النزهة. ثم بلغوا سن الرشد أو تزوجوا، وكل هذه ظروف كان يتعين عليها طبعا أن تفعل فيها شيئا. وتدريجيا اختفى كل ذلك وأتمحى من حياتها.

وعادت مسز أوليفر تقول:

- سليا رافنسكروفت... نعم، نعم... طبعا.

ولكنها لم تستطع أن تستعيد إلى ذهنها صورة حديثة للفتاة. تذكرت أنها قدمت لها بمناسبة تعميدها مصفاة جميلة من الفضة يرجع عهدها الى عهد الملكة آن، وهى أداة نافعة لتصفية السوائل، ولها فائدة أخرى إذ تستطيع ابنتها فى العماد أن تبيعها بعد ذلك بثمن لا بأس به إذا احتاجت إلى مبلغ من المال.

- ولكننى لم أرها منذ مدة طويلة.

- أظن أنها فتاة مستقلة وعصبية تغير آراءها كثيرا، وعلى درجة كبيرة من الثقافة مع ذلك، وتفوقت فى الجامعة ولكن أرائها فى السياسة... بيد اننى أظن أن جميع شباب اليوم تقريبا يهتمون بالسياسة.

وكانت مسز أوليفر تعتقد دائما أن السياسة إنما هى نوع من

اللعنات فأسرعت تقول:

- أعترف اننى لا أفهم كثيرا فى هذه المسألة.

- سأكشف لك عن قلبى وأخبرك بما أريد معرفته. واننى واثقة أنك ستسارعين إلى افادتى فاننى سمعت الجميع يتحدثون عن قلبك الطيب وحسن ادراكك.

قالت مسز أوليفر تحدث نفسها وقد عادت الى ذاكراتها بعض الأحاديث التى بهذه الطريقة:

- اننى أتساءل إذا كانت تريد أن تفترض منى بعض المال.

واستطردت مسز بيروتن تقول:

- اننى أعتبر اللحظة شديدة الخطورة بالنسبة لى، والواقع أن سليا قد عقدت النية على أن تتزوج ابنى دسموند.

- أوه، حقا!

- هذه فكرتها على الأقل فى الوقت الحاضر. ولكن لاشك أنك تدركين أن من الضرورى أن نعرف الناس، وهناك نقطة أريد أن أجلوها، وهذا أمر خاص تماما ولا أستطيع أن أطلبه... ماذا أقول... من امرأة غريبة. ولكن أنت يا عزيزتى مس أوليفر لست غريبة حقا.

تمنت الكاتبة لو أنها كانت غريبة حقا لانها بدأت تشعر بالقلق. وتساءلت اذا كانت سليا قد أنجبت طفلا أو إذا كانت حاملا وتظن هذه المرأة الضخمة أنها على علم بذلك. لو صح هذا فانه يكون أمرا مزعجا. ومن ناحية أخرى، ونظرا إلى أن سليا قد أصبحت الآن فى

الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين من عمرها فان من السهل جدا على أن أرد بأننى لا عرف شيئا.

وانحنت مسز مسز بيرتون كوكس فوقها وقالت:

- أظن أنك تعرفين ما حدث وتعرفين تفاصيل المأساة من غير شك. هل أمها هى التى قتلت أباها أم أن العكس هو الذى حدث؟

كانت مسز أوليفر تتوقع كل شئ إلا هذا واتسعت عيناها ونظرت الى مسز بيرتون كوكس فى شئ من الدهشة وقالت:

- ولكن... اننى لا أفهم... أعنى.... لا أرى سببا..

- أى عزيزتى مسز أوليفر. لا ريب أنك تعرفين القصة كلها فهى قضية مشهورة... أوه... أعرف تماما أن هذه المأساة قد وقعت منذ خمسة عشر عاما ولكن كان لها دوى عظيم ولابد أنك تتذكرينها.

راحت مسز أوليفر تعصر ذهنها فى محاولة لإيجاد رد ملائم. كانت سليا ابنتها فى العماد... وكانت أمها موللى برستون جراى صديقة لها وان لم تكن صديقة حميمة... وكانت قد تزوجت بضابط اسمه رافنسكروفت، هذا إذا لم يكن سفيرا ومن الغريب أنها لا تستطيع أن تتذكر هذا الأمر، بل انها لا تستطيع أن تتذكر إذا كانت قد حضرت حفل الزواج بصفتها فتاة شرف للعروس، وبعد ذلك غادر آن رافنسكروفت انجلترا وانتقلوا للإقامة فى الشرق الأوسط أو فى الهند... أنها لا تدرى وليست واثقة من ذلك... ورأتهما فى أوقات متفاوتة أثناء إقامتهما القصيرة فى انجلترا، ولكنها لم تحتفظ لهما فى ذهنها إلا بصورة مبهمة... كما يتصور المرء تلك الصورة الذابلة التى

يعثر عليها حين يقلب البوما قديما.

حملقت مسز بيرتون كوكس فيها بعينين مستديرتين كما لو كانت قد شعرت بشئ من الخيبة إزاء رعونتها أو عجزها عن إعادة قضية كانت مشهورة فى حينها الى ذاكرة محدثتها.

– هل تعنين ذلك الحادث؟...

– أوه، كلا. لم يكن حادثا. حدث هذا فى إقليم كانت حيث كان آل رانفسكروفت يعيشون فى فيلا على شاطئ البحر. وقد عثر بعض الناس ذات يوم على الجثتين على الشاطئ الصخرى وقد قتل كل منهما بعيار نارى. ولكن البوليس لم يستطع أن يحدد إذا كانت المرأة هى التى قتلت زوجها ثم انتحرت بعد ذلك أو إذا كان الرجل هو الذى بدأ فقتل زوجته قبل أن ينتحر. ولم يستطع الخبراء الوصول الى نتيجة ايجابية من فحص الرصاصتين. وخطر لهم أن الأمر قد يكون انتحارا مزدوجا. ولكن كان من الممكن طبعا أن يكون الأمر عبارة عن جريمة قتل خطأ يعقبها انتحار. ومع ذلك فقد بدا أن الجميع يعتقدون أن جريمة القتل كانت اختيارية وقد ذكرت الجرائد وكذلك الجمهور الكثير من القصص.

قالت مس أوليفر:

– وهى قصص لا تخلو من كثير من الخيال طبعا.

– هذا جائز. ولكن من العسير جدا إثباته. تحدثوا عن شجار نشب بينهما فى الليلة السابقة وأشار بعضهم إلى وجود رجل آخر وامرأة أخرى طبعا، ولكن لم تظهر الحقيقة أبدا بسبب المركز الكبير الذى كان

يشغله الجنرال رافنسكروفت، بل لقد قيل أنه سبق أن قضى فترة فى مستشفى للأمراض العصبية وأنه لم يكن مسئولا عن أعماله.

أجابت مسز أوليفر فى صوت هادئ:

– اننى آسفة حقا، ولكننى لا أعرف حقا شيئا عن هذه المسألة، غير اننى أتذكر الآن، وقد حدثتنى أنت عن هذه المأساة ولكننى لم أعرف أبدا ماذا وقع.

وقالت الكاتبة تحدث نفسها وهى تأسف لأنها لا تجد من نفسها الجرأة لكى تعبر عن رأيها جهارا:

– اننى أتساءل كيف وجدت الجرأة لكى تأتى وتلقى على مثل هذا السؤال.

قالت مسز بيرتون كوكس فى إصرار:

– من الأهمية الكبرى أن أعرف بما أن ابنى، ذلك الولد العزيز يريد أن يتزوج سليا.

– يؤسفنى أننى لا أستطيع مساعدتك لاننى لم أعرف أبدا تفاصيل القضية.

لم تعبأ مسز بيرتون بهذا الرد وألحت قائلة:

– ومع ذلك، ومع القصص العجيبة التى تكتبينها، فانك تعرفين بالتأكيد علم الإجرام وتعرفين من هم الأشخاص الذين يتعرضون لارتكاب جرائم القتل ولماذا؟

صاحت مسز أوليفر فى لهجة غير مهذبة تقريبا:

– اننى لا أعرف شيئا.

– أرجو أن تفهمى أننى لا أعرف الى من الجأ. من العسير أن الجأ، بعد كل هذه السنين الطويلة، إلى البوليس لاننى أعتقد أنه لن يذكر لى شيئا نظرا إلى أن القضية حفظت علانية، ومع ذلك فاننى أشعر أن من المهم أن أعرف الحقيقة.

أجابت مسز أوليفر فى برود:

– فيما يخصنى أنا فاننى أكتفى بكتابة روايات تمت الى محض الخيال ولا أعرف شيئا عن الجريمة نفسها وليست لدى أية فكرة عن علم الإجرام وعلى ذلك لا أستطيع أن أساعدك بأية طريقة.

– يمكنك أن تسألى ابنتك فى العماد سليا.

– أسأل سليا؟... لا أرى أبدا كيف أستطيع ذلك... أنها لم تكن غير طفلة عندما وقعت المأساة.

– مع ذلك فاننى أظن أنها على علم بالمسألة. إن الأولاد يعرفون أشياء كثيرة، وأنا واثقة أنها ستقول لك أنت كل ما تعرف.

– يخيل لى أن من الأفضل أن تسأليها أنت ذلك.

– أظن أننى لا أستطيع، فاننى واثقة أن ذلك لن يروق لدسموند لانه... انه شديد الحساسية فى كل ما يتعلق بسليا... ولا أظن حقا أننى... ولكننى متأكدة أنها ستذكر لك كل شئ.

قالت مسز أوليفر:

– لن أجرؤ أبدا على أن ألقى اليها مثل هذا السؤال.

وتظاهرت بأنها تلقى نظرة الى ساعتها ثم أسرعت تقول:

– رباه... لقد انقضى الوقت سريعا. يجب أن أنصرف. إن لدى موعدا هاما. إلى اللقاء يا مسز بيرتون كوكس. يؤسفنى أننى لا أستطيع مساعدتك... ولكن مثل هذه الأمور شديدة الحساسية... ثم اننى لا أظن أن ذلك قد يغير شيئا من الموقف بالنسبة لك.

– بل انه يغير كل شئ.

وفى هذه اللحظة مرت بهما امرأة أديبة تعرفها مسز أوليفر ما كادت هذه الأخيرة تراها حتى أمسكتها بذراعها قائلة:

– لويز... ما أسعدنى برؤيتك! كيف لم ألحظ وجودك قبل الان؟

– أريان!... لم أرك منذ مدة طويلة في الواقع... انك ازددت نحافة عما رأيتك آخر مرة، أليس كذلك؟

أجابت مسز أوليفر وهى تجرها بعيدا:

– انك من اللباقة بحيث تقولين لى دائما أشياء جميلة!.. اننى فى عجلة من أمرى لأن لدى موعدا هاما.

– أظن أنك كنت تريدين التخلص من براثن هذه المرأة البغيضة.

– أنها راحت تلقى على أغرب الأسئلة.

– ولم تعرفى كيف تردين عليها؟

– كلا حقا، لأنها لم تكن من اختصاصى. ولو أنها كانت كذلك لما رضيت أن أرد عليها على كل حال.

– هل تتعلق بموضوع هام؟

أجابت مسز أوليفر بعد لحظة تفكير:

- يا الهى!.. لم تكن بدون أهمية طبعا.

- تعالى. انها نهضت وقد عقدت العزم على أن تطاردك. اذا لم تكن عربتك معك فاركبى معى.

- اننى لا أستقل سيارتى فى تنقلاتى بشوارع لندن فان من العسير أن أجد مكانا أقف فيه.

- أظنك مازلت تقيمين فى استون تيراس؟

- نعم. ولكن يجب أن أذهب فى زيارة لوايتفريارز مانشيونز.

- أوه.. نعم.. أنها عمارات كبيرة هندسية الشكل.. أننى أعرفها.



البحث عن بوارو

لم تجد مسز أوليفر صديقها هركيول بوارو فى بيته فلجأت بعد ذلك إلى التليفون وسألته دون تمهيد:

– هل ستكون فى بيتك هذا المساء؟

– وراحت تنقر بأصابعها فى عصبية فوق المنضدة التى عليها جهاز التليفون:

– أتكونين أنت؟

قالت الكاتبة وهى تندهش دائماً لأن أصدقائها لا يعرفون صوتها:

– أريان أوليفر.

– نعم سأكون بالبيت الليلة.. هل معنى هذا أننى سأسعد بزيارتك؟

– جميل منك أن تواجه الأمر بهذه الصورة لأننى لست متأكداً من أن زيارتى ستسرك إلى هذا الحد.

– يسرنى دائماً أن أراك يا صديقتى العزيزة.

– ولكن من الجائز أن زيارتى قد تزعجك فاننى أريد أن أستطلع رأيك فى أمر يشغلنى.

أجاب المخبر فى زهو لان التواضع لم يكن من صفاته:

– أننى مستعد دائما لإزجاء رأيى للجميع.

– لقد وقع لى شئ يسبب لى انشغالا كبيرا ولا أدرى ماذا أفعل.

– حسنا يا سيدتى العزيزة. يسرنى جدا أن أستقبلك.

– ما هى الساعة التى توافقك؟

– ما رأيك فى الساعة التاسعة؟ سنتناول القهوة الا اذا فضلت عصير الكرز.. ولكن لا .. اننى أتذكر انك لا تحبين العصير.

ما أن أعاد بوارو السماعة مكانها حتى تحول إلى جورج، خادمه الامين، وقال له:

– أى صديقى، سنحظى الليلة بزيارة مسز أوليفر.. أظن أنه يجب اعداد القهوة وبعض الخمر.. ولا أدرى ما الذى تحبه هى بالذات.

– رأيتها تشرب شراب الكرز.

– ويخيل لى أنها تحب كريمة النعناع كذلك، ولكن لا ريب أنها تؤثر شراب الكرز.

وصلت مسز أوليفر فى الساعة التاسعة تماما. وكان بوارو قد تساءل وهو يتناول عشاءه عما يمكن أن يكون سبب هذه الزيارة غير المتوقعة، ولماذا أبدت الكاتبة هذا التردد نحو المسلك الذى يجب أن تسلكه. هل تأتيه بمعضلة عويصة أو تراها ستطلعه على جريمة قتل.

لم يكن يجهل أنه يمكن توقع كل شئ مع مسز أوليفر.. أكثر الأمور تفاهة أو على العكس من ذلك أكثرها غرابة.. هناك لحظات كانت تثير فيها حنقه، ولكنه مع ذلك كان مولعا بها.

وما أن دخلت الكاتبة حتى أدرك أن ظنه لم يخدعه. فقد كانت تبدو مشغولة البال حقا، واستقبلها بظرفه العادى وأجلسها وقدم لها القهوة ثم ناولها كأسا من الخمر.

وبدأت مسز أوليفر تقول وهى تتنهد:

– آه.. أظن أنك ستجدنى حمقاء جدا.. ومع ذلك...

– اننى قرأت فى الجريدة هذا المساء أنك حضرت اليوم مأدبة غداء أدبية وكنت أحسب أنك لا تحضرين مثل هذه المآدب.

– اننى أذهب أحيانا الى حفلات الكوكتيل ولكن يندر أن أذهب إلى المآدب حقا. ولن اختلف إليها بعد ذلك بسهولة؟

– ألم ترق لك؟

– بلى.. حتى نقطة معينة، ولكن حدث بعد ذلك أمر مزعج.

– وأظن أن هذا الأمر هو الذى دفعك إلى القدوم إلى؟

– نم. ولا أدرى لماذا حقا، لان هذا الأمر لا شأن لك به ولا أظن أنه من ذلك النوع الذى يثير اهتمامك. وعلى الرغم من كل شئ فاننى أحب أن أستطلع رأيك وأن أعرف ماذا تفعل لو كنت مكانى.

– هذه النقطة الأخيرة حساسة جدا، فأنا هركيول بوارو أعرف كيف أتصرف فى كل الظروف والمناسبات ولكننى لا أدرى اذا كنت أنت

تستطيعين ذلك.

- لابد أنك كونت لنفسك رأيا فأنت تعرفنى منذ وقت طويل.

- منذ عشرين عاما اذا لم أخطئ.

- لا أعرف بالضبط فاننى لا أتذكر التواريخ أبدا. اننى أتذكر سنة ١٩٣٩ بسبب بداية نشوب الحرب وكذلك التواريخ الأخرى التى لها صيغة الأهمية الكبرى.

- تعود إلى مأدبتنا الأدبية إذن.. ألم ترق لك؟

- بل راقت لى المأدبة نفسها، ولكن حدث بعد ذلك أن فرغنا من تناول الطعام، فان سيدة مهيبة ضخمة الجسم من أولئك السيدات اللائى يتصرفن دائما لكى يسيطرن على الجميع هجمت على تماما كما يهجم المرء لكى يمسك الفريسه ودفعتنى إلى أريكة وراحت تحدثنى عن أولادى فى العماد على الرغم من أننى لم أرهم منذ سنوات عديدة، وأرادت أن تعرف.. يا الهى!.. ما أصعب أن أقول لك هذا.

أجاب بوارو فى هدوء:

- أبدا.. ان الأمر سهل جدا على العكس. إن الجميع ينتهى بهم الأمر إلى أن يقولوا لى كل شئ وهذا سهل لأننى أجنبى.

- حسنا. أنها سألتنى عن أبوى هذه الفتاة. أرادت أن تعرف إذا كان أبوها هو الذى قتل أمها أو إذا كانت الأم هى التى قتلت أباها.

- أرجو المعذرة...

- أوه.. اننى أعرف أن الأمر سخيف.

- أرادت أن تعرف إذا كان أبو ابنتك فى العماد قتل زوجته أو إذا كان العكس هو الذى حدث؟

- هو ذلك.

- ولكن.. من منهما القاتل؟

- عثر عليهما مقتولين بعيار نارى أسفل الشاطئ الصخرى، وقد حدث هذا منذ خمسة عشر عاما. ولكن لماذا تأتى وتلقى على أنا هذا السؤال؟

- لأنك تكتبين روايات بوليسية وتعتقد أنك حجة فى علم الإجرام، وهذا كل ما فى الأمر. إذن فالمأساة التى تكلمت عنها مأساة حقيقية.

- طبعا. ولكن من الأوفق أن أطلعك على ما أعرف أولا. ان الأمر يتعلق بالليدى رافنسكروفت وزوجها سير اليستير. كانت المرأة الشابة فى المدرسة معى وكنت أعرفها جيدا على الرغم من اننا لم نكن صديقتين حميمتين. أما هو فكان ضابطا قضى حياته العملية كلها تقريبا فيما وراء البحار. وعندما عاد إلى انجلترا اشترى فيللا بإقليم كنت وأقام فيها هو وزوجته. وفجأة وقعت المأساة وتكلمت عنها جميع الصحف فى ذلك الحين. وقد تساءل الجميع إذا كان الزوجان قد لقيا حتفهما على يد قاتل أو اذا كان قد اقتتلا. وأظن أن سلاح الجريمة كان مسدسا وكان ملكا لسير اليستير نفسه.

وأطلعته مسز أوليفر على كل التفاصيل التى تتذكرها وسألها المخبر أخيرا:

– ولماذا أرادت هذه المرأة معرفة ذلك السر الذى يبدو لى من قصتك أنه ظل مستغلقا حتى اليوم.

– هذا هو ما أود معرفته بالذات. أظن أننى أستطيع أن أهتدى إلى سليا بسهولة فهى تقيم فى لندن أو ضواحيها بلا ريب. وأظن أنها حصلت على الليسانس وهى ترسل لى بطاقة فى عيد الميلاد وفى مناسبات أخرى نادرة.

– ألم تتزوج؟

– كلا. ولكن يبدو أنها تنوى الزواج بدسموند بيرتون كوكس، ابن هذه المرأة التى حدثتك عنها.

– وهى لا تريد هذا الزواج طبعا بسبب هذه القصة القديمة؟

– هذا هو التفسير الوحيد الذى يبدو مقبولا على كل حال. ولكن فيم تهمها تفاصيل هذه المأساة؟.. سواء قتل الأب زوجته أو قتلت الأم زوجها؟.. لا أستطيع أن أرى أبدا...

– الواقع أننى أجد سؤال مسز بيرتون كوكس غريبا. وهذا أمر يستحق التفكير. لعلها مختلة العقل شيئا ما.. أهى شديدة التعلق بابنها؟

– طبعا.

– لا ريب أنها تخشى أن يكون للفتاة استعداد وراثى للقتل.

– وكيف أعرف هذا؟.. يخيل لى أنها تحسب أننى أستطيع أن أقول لها ولكنها لم تتذكر لى ما فيه الكفاية. ماذا هناك خلف كل هذا يا

ترى؟.. ما معنى هذا حقا؟

أجابها بوارو فى صوت بطئ:

– ان من الأهمية أن تعرف ذلك.

– هذا هو السبب الذى أتيتك من أجله. أعرف أنك تحب اكتشاف الأسباب الخفية للأمور.

– هل تظنين أن لمسز بيرتون كوكس ميلا خاصا؟

– أظن أنك تريد أن تقول اذا كانت تفضل أن تعرف هذا الزوج هو القاتل الحقيقى أم أنه الزوجة. يا الهى!.. ليس لدى أى شعور بأنها تفضل واحدا منهما بالذات.

– حسنا. اننى أفهم معضلتك. انك عائدة من مأدبة سألوك فيها شيئا بدا لك شديد الحساسية وتريدين أن تعرفى أمثل طريقة لمعالجة هذه المسألة.

– ما هى أمثل طريقة فى رأيك؟

– ليس من السهل أن أبدى رأيى لاننى لست امرأة، ولكن لندرس الموقف معا. جاءتك امرأة غريبة عنك لا تعرفينها قبل ذلك، وعرضت عليك معضلة دون أن تقدم لك دافعا حقيقيا. أظن أن هناك ثلاثة أشياء يمكنك أن تقدمى عليها. أولها أن تبعثى الى هذه السيدة رسالة تقولين لها فيها: (اننى آسفة، ولكننى لا أستطيع أن أقدم لك أية مساعدة) أو شيئا من هذا القبيل. وثانيها هو أن تتصلى بابنتك فى العماد وأن تسأليها نفس السؤال الذى ألقته عليك أم الشاب الذى تنوى الزواج به. وستعلمين منها هى بالذات إذا كانت قد عقدت العزم

على أن تتزوجه. فإذا كان الأمر كذلك فهل يعلم خطيبها بمحاولات أمه؟ وستكون هناك أيضا نقاط أخرى من المهم توضيحها، مثال ذلك أن تعرفى رأى الفتاة فى مسز بيرتون كوكس، وأخيرا يمكنك أن تختارى الحل الثالث، وهو هذا الحل الأخير الذى أنصحك أن تقدمى عليه حقا.

- أعرف ما تقصد، وهو يتلخص فى كلمة واحدة.

- هى (لا شئ).

- نعم. اننى أدرك أن من الجائز أن يكون هذا الحل الثالث هو الأفضل، وهو ألا أفعل شيئا، ولكن...

قاطعها بوارو قائلا:

- ولكن هناك شيئا اسمه الفضول البشرى.

- أريد فقط أن أعرف السبب الحقيقى الذى دفع هذه المرأة الى أن تأتينى وتلقى على مثل هذا السؤال الغريب. وعندما أعرف هذا الأمر أستطيع أن أستريح وأن أنسى هذه المسألة. ولكن قبل أن يحدث هذا فاننى أعرف أننى...

- أنه لن يغمض لك جفن، وبما أننى أعرفك جيدا أنك ستهبين من نومك فى منتصف الليل مذعورة وأنه سيخطر بذهنك أغرب الأفكار. وهى افكار يمكنك أن تستغلينها على كل حال فى رواياتك.

الأفيــال

أجـابت مـسـز أوليـفـر وقـد بـرقت عيناها:

– لعمرى، أظن أن هذا غير بعيد الاحتمال، إذا نحن درسنا المسألة من هذه الزاوية.

– ان الفضـول شئ غريب ونحن ندين له بالشئ الكثير. لا أدرى من الذى اخترعه. لعلهم اليونانيون فقد كانوا ينشدون المعرفة وأظن أن ما من أحد قبلهم حاول أن يعرف شيئا. ثم جاء الذين بعدهم فأرادوا أن يعـرفـوا كـافـة الأشـيـاء. وهكذا عـرفنا السـفن والسكك الحـديدية والطائرات والقنابل الذرية والبنسلين وأشياء أخرى كثيرة.. نظر شاب الى غطاء وعاء يرتفع تحت ضـغط البـخـار فـجـاءتنا القطارات ولكن جاءتنا بعـد ذلك اضـرابات السكك الحـديدية.. وكل شئ له مـحـاسنه ومساوئه.

– هل تعتبرنى متطفلة فظيعة؟

– أبدا. بل على العكس أرى أن فضولك لا يتجاوز الحـدود. ولكن دعـينا ندرس المسـألة جـيـدا.. هذه المأسـاة التى تتـحـدثين عنهـا، هل عرفوا أسرارها؟

- كلا فى الواقع، خصوصا وأن الزوجين كانا يبدوان متفاهمين تماما. ولا أظن أن فى الاستطاعة، بعد كل هذه السنوات اكتشاف ذلك.

أجاب بوارو:

- بل هذا ممكن. أشعر أننى جدير بأن أعرف أسرارها. أستطيع بفضل أصدقاء لهم وضعهم أن أعرف نتائج التحقيق، بل أستطيع أن أصل إلى ملف القضية نفسه.

سألته مسز أوليفر وقد برقت عيناها بوميض الأمل:

- هل تستطيع ذلك حقا؟

- طبعا. ولكن سيقتضى هذا وقتا معينا طبعا.

- فى هذه الحالة، أعنى إذا أنت قبلت، فيجب أن أتولى بضعة أشياء بنفسى. أننى أحب أن ألتقى كذلك بالشاب الذى ستتزوجه.

- اتفقنا. هذا أمر رائع.

قال بوارو وهو يتنهد:

- هذه مسألة تنتمى إلى الماضى. لعلها كانت قضية مشهورة فى ذلك الحين، ولكن ما هى القضية المشهورة إذا أمعنا التفكير؟.. طالما لم تنته الى خاتمة مذهلة فان أحدا لن يتذكرها بعد ذلك.

أجابت مسز أوليفر:

- هذا صحيح. لقد تكلمت الجرائد عنها كثيرا فى ذلك الوقت ثم انمحى كل شئ.

– نعم ان المعضلة عويصة، وإذا كان البوليس قد عجز عن اكتشاف الدافع عند وقوع المأساة فمعنى ذلك أن الأمر لم يكن سهلا.

– أستطيع على كل حال أن أذهب لرؤية ابنتى فى العماد، وهذا ما تتمنى مسز بيرتون كوكس أن أفعله بكل تأكيد. ولا ريب أنها تعتقد أن الفتاة تعرف نقاطا معينة من المسألة وأعترف أن هذا جائزا، فان الأولاد قمينون باكتشاف أغرب الأشياء.

– كم كان سنها عندما مات أبوها؟

– أظن أنها كانت فى التاسعة أو العاشرة من عمرها. ويخيل لى أنها كانت فى مدرسة داخلية عندما وقعت المأساة.

– من الجائز أنها تكلمت عن هذه المسألة مع خطيبها وتكلم الشاب بعد ذلك عنها مع أمه. ولا يدهشنى أن تكون مسز بيرتون قد حاولت استجواب الفتاة وصدتها هذه الأخيرة. وعندئذ خطر لها أن مسز أوليفر قد تستطيع أن تحصل على معلومات، على الرغم من أننى لا أستطيع أن أفهم مدى أهمية هذه المعلومات بالنسبة لها. مع أمعان الفكر يبدو أن الناس، على حد التعبير المبهم الذى استخدمته أنت، يجب أن يظهروا نوعا من التعاون وذلك على شرط أن يتذكروا، ولكن هل يتذكرون حقا؟

– كنت أفكر الآن فى الأفيال.

– الأفيال؟

وقال بوارو يحدث نفسه مرة أخرى أن مسز أوليفر أكثر الناس غموضا بدون شك.

وقالت الكاتبة:

- بدأت أفكر فيها أثناء الغداء.

سألها بوارو مشدوها:

- ولماذا؟

- الواقع أننى كنت أفكر فى الأسنان، فإنه إذا كانت لك أسنان صناعية وحاولت أن تأكل أشياء معينة فلن تفلح فى ذلك وإنما يجب أن تعرف ماذا يمكنك أن تأكل وما هى الأنواع التى ينبغى أن تتجنبها.

أجاب المخبر السرى وهو يتنهد:

- اننى أعرف ذلك.

- ولم ألبث أن قلت لنفسى أن الأسنان المصنوعة من العظم ليست من النوع الجيد وأن الكلاب لها أسنان من العاج وفكرت بعد ذلك فى حيوانات أخرى لها أسنان من العاج كفيل البحر مثلا، وحملنى كل هذا إلى التفكير فى الأفيال وفى أنيابهم العاجية.

لم ير بوارو ما ترمى إليه محدثته بكل ما تقدم ولكنها استطردت تقول:

- وشيئا فشيئا وصلت الى هذه النتيجة، وهى أنه يجب علينا أن نبحث عن الأشخاص الذين يشبهون الأفيال فانه يقال أن الأفيال لا تنسى أبدا.

- الواقع أننى سمعت هذا القول قبل ذلك.

واسترسلت مسز أوليفر تقول:

– ان الأفيال لا تنسى، ولعلك تعرف بلا ريب قصة ذلك الترزى الهندى الذى دنا من فيل وشكه بإبرة فى خرطومه، فانهما عندما التقيا للمرة الثانية بعد ذلك ملا الفيل فمه بالماء وأغرق به عدوه. ومع ذلك فقد مر على الحادث الأول سنوات كثيرة ولكن الفيل لم يكن قد نسى. وما احتاج إليه الآن هو البحث عن بعض الأفيال.

– لست متأكدا من أننى أفهم ما تقصدين. من الذى تعنين بالأفيال؟.. ان من يسمعك يظن أنك ستذهبين لكى تستمدى معلوماتك من حديقة الحيوان.

– ليس هذا تماما. ولكن هناك أشخاصا يتمتعون بذاكرة قوية كذاكرة الفيل. والواقع أنه يحدث كثيرا أن يتذكر بعض الناس أشياء عجيبة. وفيما يتعلق بى فان هناك أحداثا أتذكرها جيدا، مثلا حفلة عيد ميلاد حضرتها وأنا فى سن الخامسة، وكانت هناك كعكة كبيرة وردية اللون قائمة فوق عصفور من السكر. وأتذكر أيضا اليوم الذى طار فيه عصفور الكاناريا الذى كنت أحبه والذى بكيت من أجله كثيرا، وكذلك اليوم الذى دخلت فيه مزرعة فجأة ووجدت نفسى تقريبا تحت ثور ضخم وتلك النزهة التى جمعنا أثناءها ثمار التوت. وقد تجرحت يداى وذراعى بصورة عجيبة، ولكننى جمعت فى ذلك اليوم التوت أكثر مما جمعه زملائى كلهم، وكنت عندئذ فى نحو التاسعة من عمرى. ولكن ليس من الجدوى أن أحاول تذكر أكثر من هذا. اننى حضرت عشرات الزيجات ولكن زيجتين منهن فقط تركتا فى نفسى أكبر الاثر، احداهما فى نيوفورست وكنت شاهدة الزواج وأظن أن التى تزوجت واحدة من بنات أعمامى، ولكننى مع ذلك لا أستطيع أن أتذكر

المدعويين، والثانية زواج أحد أصدقائى، وكان ضابطا فى البحرية وقد أوشك على الغرق ذات يوم ولم يشأ أهل الفتاة أن يزوجوها له فى بادئ الأمر لهذا السبب. وها أنت ترى أن هناك أحداثا يتذكرها المرء جيدا.

قال بوارو:

– بدأت أفهم الآن. ستحاولين إذن البحث عن الأفيال.

– نعم. سأحاول أن أتذكر الأشخاص الذين كنت أعرفهم عندما وقعت المأساة.. الأشخاص الذين كانت لهم تقريبا علاقات بآل رافنسكروفت والذين خالطوهم عندما كانوا فى الهند أو فى أى مكان آخر. ليس هناك أى ضرر من البحث عن الأشخاص الذين لم أرهم منذ وقت طويل لانه يسرهم دائما أن يروا شخصا يظهر من الماضى، وسيتحدثون معى طبعا عن الأحداث التى وقعت فى ذلك الوقت.

قال بوارو:

– هذا أمر مهم جدا. وأظن أنك تصلحين لمثل هذا النوع من الأبحاث. انطلقى فى طريق الأفيال اذن فمن الجائز أن يتذكروا، وأتمنى لك رحلة موفقة.



دفتر العناوين

هل لك أن تبحثى لى عن دفتر عناوينى من فضلك يا مس ليفنجستون.

– أنه على مكتبك يا سيدتى فى الركن الأيسر.

– أوه، أننى أعلم ولكننى أريد دفتر عناوينى الخاص بالسنة الماضية وكذلك الخاص بالسنة التى قبلها إذا أمكن.

– من الجائز أنك ألقيت بهما فى سلة المهملات.

– كلا أننى لا ألقى بدفاتر عناوينى فى سلة المهملات أبداً، لأننى قد أحتاج إليها، ستجدينه من غير شك فى أحد أدراج مكتبى بغرفة النوم.

كانت مس ليفنجستون جديدة حلت محل مس سدجويك وكانت هذه الأخيرة درة ثمينة، كانت تعرف دائماً أين تضع مسز أوليفر حاجاتها، بل كانت تعرف الأماكن التى تكون ألقتها فيها، وكانت تتذكر أسماء الأشخاص الذين كتبت لهم مسز أوليفر خطابات رقيقة وكذلك أسماء الأشخاص الذين يدفعونها الى أن ترسل لهم رسائل بغيضة.

نعم، كانت مس سدجويك درة ثمينة.. تقريبا كذلك الكتاب الضخم الذى لم يكن يخلو منه بيت فى عهد الملكة فيكتوريا، والمعروف باسم (الموسوعة الكاملة) فقد كان فيه كل شئ يهم ربة البيت.. كيف تتصرف لإخفاء (آثار المكواة من الملابس والطريقة لإعداد مايونيز لذيذ من آخر غير طازج والعبارات التى تستخدمها فى مخاطبتها للقسيس وآلاف الأشياء الأخرى. كانت ربة البيت تجد كل شئ فى هذه الموسوعة الثمينة التى كانت لا تفارق فيما سبق عمتها أليس.

حسنا، كانت مس سدجويك هى الأخرى موسوعة معارف حقيقية، ولم تكن مس ليفنجستون على غرارها أبدا. فقد كانت هذه الأخيرة تحملق فيك بعينيها المستديرتين الباهتتين فى وجهها الطويل ذى البشرة المعقدة وهى مقتنعة تماما بأنها كفء وقدوة ولكن مسز أوليفر كانت مقتنعة بعكس ذلك تماما، فان سكرتيرتها الجديدة لم تكن تتذكر إلا الأماكن التى وضعت فيها مخدوموها السابقون حاجاتهم، وكانت تحسب أن مسز أوليفر يجب أن تتبع نفس وسائلهم فى التنسيق والترتيب.

وعادت الكاتبة تقول فى عزم وتصميم الفتى المدلل:

– ان الدفتر الذى أريده هو

– دفتر عناوين سنة ١٩٧٠ وكذلك الدفتر الخاص بسنة ١٩٦٩، ابحثى عنهما بأسرع ما يمكن من فضلك.

أجابت السكرتيرة وهى تدير البصر حولها فى غموض كالشخص الذى يبحث عن شئ لم يسمع عنه أبدا:

- حسنا يا سيدتى.

وقالت مس أوليفر تحدث نفسها:

- إذا لم تعد مس سدجويك فاننى سأجن.

وراحت مس ليفنجستون تبحث فى الأدراج، الواحد بعد الأخر. وقالت أخيرا فى ارتياح:

- ها هو دفتر السنة الماضية.. دفتر سنة ١٩٧١، انه حديث هو الأخر.

- ولكننى لم أطلب منك دفتر سنة ١٩٧١ .

وومضت ذكرى مبهمة فى ذهن مسز أوليفر فقالت:

- ابحثى فى صندوق الشاى الذى فوق الطاولة.

- ولكن دفتر العناوين لا يمكن أن يكون فى صندوق الشاى يا سيدتى.

- بل يمكن أن يكون فيه بكل تأكيد. أظن أننى أتذكر...

وأقصت مس ليفنجستون بحركة من يدها وأسرعت الى الطاولة ورفعت الغطاء عن صندوق الشاى وقالت وهى تخرج منه دفترا صغيرا أسمر اللون:

- ها هو.

ومضت بعد ذلك الى مكتبها حيث جلست وهى تقول:

- يكفى هذا فى الوقت الحاضر يا مس ليفنجستون... ومع ذلك...

كلا. أرجو أن تبحثى لى عن ألبوم الصور الخاص بأعياد الميلاد.

– لم أكن أعرف...

– اننى لا أستخدمه فى الوقت الحاضر. ولكنه عندى منذ وقت طويل. بدأته وأنا طفلة صغيرة. وأظن أنه موجود فى الغرفة المنخفضة التى تخصصها أحيانا للضيوف عندما يأتى الأولاد لقضاء الأجازات. ابحثى فى المكتب الصغير بجوار الفراش.

تنهدت مس أوليفر فى ارتياح وهى ترى السكرتيرة تبتعد وراحت تقلب صفحات دفتر العناوين المعطر برائحة شاى سيلان.

رافنسكروفت، سليا رافنسكروفت، ١٤ شارع فيتاكر. كانت تقيم هناك فى وقت من الأوقات ولكنها وجدت عنوانا آخر هو شارع ستراند بجوار جسر كيو.

وقلبت بضع صفحات أخرى ثم قالت فى صوت خافت:

– آه. هذا أحدث عنوان. شارع جروف... أظن أن هذا الشارع يقع على مقربة من طريق فولهام. هل عندها رقم تليفون؟ انه غير ظاهر ويكاد يمحى.. ولكننى أعتقد. نعم.. أعتقد أنه هو... فلاكسمان.. مهما يكن من أمر فاننى أستطيع أن أجرب..

ومدت يدها نحو التليفون، وفى نفس اللحظة فتح الباب أمام مس ليفنجستون وقالت هذه الأخيرة:

– ألا تظنين...

قاطعتها مسز أوليفر قائلة:

- اننى عثرت على العنوان الذى أبحث عنه... حاولى أن تعثرى لى على ألبوم الصور... ان الامر هام.

- أليس من الممكن أن تكونى قد تركته فى البيت القديم عندما انتقلت إلى هنا؟

- كلا بالطبع... استمرى فى البحث عنه.

ولم يسعها الا أن تقول بعد أن أغلقت السكرتيرة الباب خلفها:

- ولا تتعجلى على الخصوص.

ثم أدارت الرقم وانتظرت بضع لحظات ومضت بعدها ففتحت الباب وصاحت عبر السلم:

- يمكنك أن تبحثى فى الصندوق الأسبانى... أعنى الصندوق المكسو بالقماش... لا أعرف مكانه بالتحديد.. ربما تحت منضدة البهو...

لم تسفر المكالمة الأولى عن أية نتيجة فقد وقعت على امرأة تدعى مسز سميث بوتر لم يكن لديها أية فكرة عن رقم التليفون الجديد للساكنة التى كانت تشغل المسكن قبلها. وعادت الكاتبة فغرقت من جديد فى دفتر مذكراتها ولم تلبث أن اكتشفت عنوانين آخرين شطبا على عجل وأصبح من المتعذر قراءتهما على هذه الصورة، ومع ذلك ففى المحاولة الثالثة التى قامت بها لفك طلاسمهما بدا اسم رافنسكروفت يكاد لا يقرأ يخرج من الشطب والزيادات. وأدارت رقما ثالثا ولم يلبث أن أجابها صوت بأنه يعرف سليا واستطرد يقول:

- نعم، ولكنها لا تقيم هنا منذ سنوات. وآخر مرة سمعت عنها

أظنها كانت فى نيوكاسل.

– يا الهى. ولكن ليس عندى هذا العنوان.

أجابها الصوت النسائى فى آخر الخط: وهو ليس عندى أنا الاخرى. يبدو لى أنها انتقلت لكى تلتحق بوظيفة سكرتيرة لطبيب بيطرى.

لم يكن هذا بالأمر المشجع. ولجأت مرة أخرى الى دفتر مذكراتها وراحت تقلب صفحاته ولم تلبث أن وجدت عنوانا آخر وبجواره رقم تليفون. وأجابها صوت يقول:

– نعم، طبعا. أنها فتاة قديرة جدا. اشتغلت عندى سنة ونصف وكنت أرجو أن تبقى معى ولكنها استقالت لكى تعمل مع طبيب بشارع هارلى. لحظة واحدة... أظن أن عنوانه موجود لدى. أنه فى مكان ما فى ايسلنجتون.

وبعد لحظة ومن غير أن تثبط عزيمتها أدارت مسز أوليفر رقما آخر وأجابها صوت أجنبى اللكنة:

– مس سليا رافنسكروفت!... نعم. أنها تقيم هنا. انها تقطن فى غرفة بالطابق الثانى ولكنها خرجت ولن تلبث أن تعود.

أعادت مسز أوليفر السماعة وهى تتنهد. وظهرت مس ليفنجستون فى هذه اللحظة تغطيها طبقة من التراب وخيوط العنكبوت وتحمل بين ذراعيها عددا من المجلدات منظرها لا يشجع وقالت فى لهجة عتاب:

– لا أعرف إذا كانت هذه السجلات يمكن أن تكون ذات نفع لك لان عهدها يرجع الى سنوات كثيرة...

- هذا جائز على كل حال.

- هل هناك شئ آخر تريدين أن أبحث لك عنه.

- لا أظن. ضعي هذه المجلدات على الأريكة من فضلك. سأفحصها الليلة.

قالت السكرتيرة وقد زادت لهجتها عتابا: حسنا. ولكننى سأنفس عنها الغبار أولا.

هذه مكرمة منك.

وبذلت كل جهدها لكى لا تستطرد قائلة:

- وبهذه المناسبة نفضى الغبار عن نفسك أنت أيضا، فان هناك ستة من خيوط العنكبوت فى أنفك اليمنى وحدها.

وألقت نظرة على ساعتها ثم طلبت ايسلنجتون:

- مس سليا رافسنكروفت؟

وفى هذه المرة أجابها صوت أنجلوسكسونى بد لمسز أوليفر فظا خشنا:

- نعم، أنا هى.

- لا أدرى إذا كنت تتذكريننى. أنا مسز أوليفر. لم نلتق منذ وقت طويل ولكننى أمك فى العماد.

- أوه، طبعا. اننى لم أنس.

- هل أستطيع أن أراك؟ أتقبلين مثلا أن تأتى لتناول الغداء معى أو.

– الحق أن هذا يتعذر على بسبب عملى، ولكننى أستطيع القدوم الليلة إذا أردت، فى السابعة والنصف أو الثامنة، وبعد ذلك لدى موعد، غير أنى...

– إذا أمكنك ذلك فاننى أكون سعيدة جدا.

– حسنا. اتفقنا.

– إليك عنوانى إذن.

أعادت مسز أوليفر السماعة وسطرت بضع كلمات فى دفترها ثم رفعت عينيها فى إعياء إلى مس ليفنجستون التى ظهرت من جديد وهى تنؤ تحت ثقل ألبوم ضخم وتقول:

– اننى أتساءل إذا كان هذا هو ما تريدين.

– كلا. ليس هذا ما أريد. إن الذى بين يديك مجلد يضم طرقا عديدة للطهى.

– أوه يا الهى!

قالت مسز أوليفر وهى تأخذ المجلد:

– يمكننى على كل حال أن اقرأ بعضها. ولم لا؟... وبعد إمعان التفكير أظن أن الألبوم الذى نبحث عنه موجود فى دولاب البياضات، بجوار غرفة الحمام على الرف العلوى فوق المناشف. اننى أضع فى ذلك الدولاب كتابا وأوراقا فى بعض الأحيان. انتظرى. سأذهب وأتحقق من ذلك بنفسى.

وبعد عشر دقائق كانت مسز أوليفر تقلب صفحات ألبوم قديم

باهت فى حين وقفت مس ليفنجستون تنتظر على عتبة الباب.

وبعد لحظة رفعت الكاتبة عينيها وقالت:

– يمكنك أن تبحثى أيضا فى الدولاب الموجود بغرفة الاستقبال، أعنى الدولاب القديم. حاولى أن تجدى فيه دفاتر عناوين أخرى. وأظن أننى لن أكون بعد ذلك بحاجة إليك اليوم.

اختفت مس ليفنجستون وتمتمت مسز أوليفر وهى تتنهد:

– إننى أتساءل من منا أسعد حالا من الأخرى، هى بانصرافها عنى أم أنا بتخلصى منها.

وتناولت السماعة من جديد وأدارت رقم هركيول بوارو:

– أنا أريان أوليفر. أهذا أنت يا مستر بوارو؟... هل فعلت شيئا ما.

– أرجو المعذرة... فعلت شيئا؟... ماذا تقصدين؟

– أى شئ... بخصوص المسألة التى تكلمنا عنها أمس.

– اننى اتخذت بعض التدابير لكى أقوم بإجراءات معينة.

قالت مسز أوليفر، وكان لها رأى معروف عن الطريقة التى يواجه بها الرجال الأمور:

– ولكنك لم تقم بها بعد؟

– وأنت يا سيدتى العزيزة؟

– اننى كنت مشغولة جدا.

– آه. ولكن لا ريب أنك تصرفت من ناحيتك؟

- اننى جمعت أفيالا، ولعلك تفهم ما أعنيه.

- أظن أننى أفهم.

- ولكن ليس من اليسير التعمق فى الماضى. ولك أن تستغرب عن عدد الناس الذين تتذكرهم عندما نقرأ بعض الأسماء، وتلك الأشياء الحمقاء التى يكتبونها فى البومات أعياد الميلاد. لا أستطيع أن أفهم لماذا كنت أتمسك بكل هذه التعليقات عندما كنت فى السادسة أو السابعة عشرة من عمرى أو حتى عندما كنت فى الثلاثين.

- هل أثمرت أبحاثك؟

- ليس تماما. ولكننى أعتقد مع ذلك اننى أمضى فى الطريق الصحيح. وبهذه المناسبة اتصلت بابنتى فى العماد تليفونيا وستأتى لرؤيتى الليلة فيما بين السابعة والثامنة، هذا إذا وفت بكلمتها، فإننا مع شباب اليوم لا يمكن أن نعرف أبدا. لا نستطيع الاعتماد عليهم على الإطلاق.

- هل بدت مسرورة بمكالمتك؟

- لا أدرى. أظنها بدت كذلك ولكن فى اعتدال. كانت لهجتها قاطعة بعض الشئ. وأتذكر الان أننا فى لقائنا آخر مرة... وأظن أنه مضت على ذلك عشر سنوات... كانت مخيفة شيئا ما.

- مخيفة؟... ما هو المعنى الذى تعطينه لهذه الكلمة؟

- اننى لا أحسن التعبير بلا ريب. إنما عنيت أنها بدت خائفة منى أكثر مما كنت أخاف أنا منها.

– من رأيى أن هذه يمكن أن تكون علامة طيبة.

– حقا؟

– إذا كان الناس قد عقدوا العزم على أن لا يحبوك، وإذا اقتنعوا بأنهم أصبحوا لا يحبونك فانه يسرهم عندئذ أن يبدو منهم ما يجعلك تشعرين بذلك. وهم اذ يتصرفون هكذا تفلت منهم بعض المعلومات التى كانوا يحرصون على إخفائها لو أن صلاتهم معك كانت ودية.

– تعنى أنهم يتملقوننا فى هذه الحالة... لا ريب أنك على حق... وفى هذه الحالة الأخيرة يذكرون لنا الأشياء التى يعتقدون أنها تسرنا فى حين أنهم فى الحالة الأولى يحاولون أن ينطقوا بما يكدرنا ويسئ إلينا. أننى أتساءل إذا كانت سليا هكذا. اننى أتذكر أنها عندما كانت فى الخامسة كانت تلقى بأحذيتها فى وجه مربيتها.

وبعد أن انتهت المحادثة جلست مسز أوليفر على الأريكة لكى تقلب ذكريات الماضى التى تكدست فوقها.



الــزيــارة

كانت تقف بالباب فتاة هيفاء وبقيت مــســز أوليـفــر لحظة جــامــدة لا تتحـرك أهذه هى سليا؟ كان ينطلق منها إحساس عجيب بالحيوية.

وقالت مسز أوليفر:

– أدخلى يا سليا، أظن أننى رأيتك آخر مرة فى حفلة زواج وكنت أنت شاهدة العروس كنت تلبسين فستاناً بلون المشمش.

– نعم، وهو أبغض فستان أرتديته فى حياتى كان ذلك فى حفلة زواج مارتا ليجهورن.

– ومع ذلك فإنك كنت أكثر الموجودين أناقة.

– ظريف منك أن تقولى لى هذا.

أجلست مسز أوليفر زائرتها وأخذت قنينة من الكريستال وهى تقول:

– هل لك فى كأس من الشيرى أم تفضلين شيئاً آخر.

– ان الشيرى لذيذ. شكرا لك.

– أظن أنك تستغربين وجودك هنا الليلة. ولا ريب أنك دهشت لمكالمتى التليفونية. اننى لست أشبينة دقيقة جدا.. وأعترف بذلك.

– ولماذا تريدين أن تكونى كذلك وأنا فى هذه السن.

– نعم، هذا صحيح. تأتى لحظات معينة تنتهى فيها الالتزامات، ومع ذلك فاننى أشعر أحيانا بأننى لم أقم بالتزاماتى تماما بل اننى أظن اننى لم أحضر حفل تثبيت عمادك.

ابتسمت سليا ابتسامة حلوة فى حين استطردت مسز أوليفر تقول:

– ولكن ما علينا.. سأخبرك الان لماذا أردت أن أراك. ان المسألة غريبة جدا. اننى لا أذهب كثيرا الى الحفلات الأدبية، ولكن حدث اننى اشتركت فى إحداها أمس.

– أعرف ذلك فقد قرأت النبأ فى الجرائد.. ورأيت اسمك.

– نعم. وكم كنت أتمنى لو اننى لم اشترك فيها.

– هل تضايقت كثيرا؟

– تماما. فقد وقع شئ أثار جزعى. والغريب أن هذا الشئ له علاقة بك من ناحية ما.

قالت سليا وهى تشرب جرعة من الشيرى:

– إنك تثيرين دهشتى.

– كانت هناك امرأة هجمت على على الرغم من اننى لا أعرفها ولا تعرفنى هى الأخرى.

– أظن أن هذا يحدث لك كثيرا.

- طبعا. وهذه إحدى عبوديات الحياة الأدبية.

- كنت فى وقت ما سكرتيرة كاتب روائى وأعرف هذا الأمر قليلا.

- ولكن الأمر كان مختلفا هذه المرة، فقد بادرتنى تلك المرأة تقول بدون تمهيد (أظن أن لك ابنة فى العماد اسمها سليا رافنسكروفت).

- هذا غريب وفيه شئ من الخشونة يبدو لى أنه كان يمكنها أن تصل الى هذا السؤال تدريجيا، ومهما يكن فماذا يهمها من أمرى. هل هناك ما تشكوه منى؟

- لا علم لى بذلك؟

- أهى احدى صديقاتى؟

- لا أدرى.

ساد الصمت وشربت سليا جرعة أخرى من الشيرى وهى تنظر الى مسز أوليفر فى اهتمام وقالت أخيرا:

- انك تثيرين حيرتى حقا. واعترف بأننى لا أفهم حقا ماذا تقصدين؟

- أرجو أن لا تغضبى.

- أغضب؟.. ولماذا؟

- لأنك قد تحسبين أن ما سأقوله لك لا يعنينى وأنه كان يجدر بى على كل حال أن أحتفظ بهذا الأمر لنفسى فان المرأة التى كلمتك عنها تدعى مسز بيرتون كوكس.

- أوه.

– وقد أخبرتنى أنها تعتقد أن ابنها ينوى أن يتزوجك.

رفعت سليا حاجبيها وقست نظرتها بصورة غير ملحوظة.

– وتريدين أن تعرفى إذا كان هذا صحيحا أم لا؟

– ليس هذا من شـأنى ولا أذكـر لك هذا الأمـر إلا لأنه أول شئ ذكرته لى. كانت تظن، نظرا إلى أنك ابنتى فى العماد اننى أستطيع أن أستقى منك بعض المعلومات وأظن أنها كانت تتوقع منى أن أذهب اليها بعد ذلك وأعيد على سمعها ما قد أعرفه.

– وما هى المعلومات التى كانت تريدها منك؟

– أخشى حقا أن ما سأقوله لن يروق لك، لأن سؤالها لم يرق لى عندما ألقته على. والواقع أننى وجدت أنه لابد أن تكون على شئ من الوقاحة لكى تلقيه على ثم أن طريقتها كانت لا تغتفر. ألقت على نص هذا السؤال بالتقريب: (هل يمكنك أن تعرفى اذا كانت أمها هى التى قتلت أباها أو اذا كان العكس هو الذى حدث؟

– سألتك هذا السؤال؟.. من غير أن تعرفك شخصيا؟

– الواقع أننا لم نلتق أبدا قبل ذلك.

– ألم تستغربى الأمر؟

– أظن أننى مـا كنت لاستـغـرب أى شئ تنطق به لاننى وجـدتهـا بغيضة جدا.

– لم تخطئى فى شعورك هذا.

– وستتزوجين ابنها؟

– لا أدرى.. ولكن النية متجهة الى ذلك.. هل تعرفين.. المسألة التى حدثتك عنها؟

– لا أعرف أكثر مما يعرفه كل الذين كانت لهم علاقات غامضة بأبويك.

– إن الأمر بسيط.. فى الظاهر على الأقل. أقام أبواى بعد عودتهما من الهند فى فيللا اشترياها فى مقاطعة كنت، وخرجا ذات يوم الى الشاطئ فى نزهتمها العادية ولم يعودا. وعثروا عليهما ميتين وقد أصاب كل منهما عيار نارى. وكان المسدس الذى عثروا عليه بجوارهما ملكا لأبى. ولم يكن هناك ما يشير الى أن الأمر قد يتعلق بانتحار مزدوج أو إذا كان أحدهما قتل الأخر ثم انتحر بعد ذلك، ولكن لعلك تعرفين كل هذا.

– اننى أجهل التفاصيل لأن هذه المأساة وقعت منذ وقت طويل. لا ريب أنك كنت فى الثامنة أو العاشرة من عمرك فى ذلك الوقت.

– أوه، نعم.. تقريبا.

– كنت أنا فى ذلك الوقت فى الولايات المتحدة حيث ذهبت لإلقاء بعض المحاضرات. وقد قرأت نبأ القضية فى الجرائد فحسب، وقد كتبوا عنها بالذات لغموضها وتعذر معرفة الوقائع الحقيقية والدافع الذى بدا أنه لا وجود له. وقد اهتممت طبعا بالقضية لأننى عرفت أبويك منذ بضع سنوات قبل ذلك، وخصوصا أمك لأنها كانت زميلتى فى الكلية وفرقتنا الحياة بعد ذلك فتزوجت أنا وانتقلت هى من ناحيتها إلى الهند مع زوجها. ولكنها طلبت منى أن أكون أما فى العماد

لأحد أولادها. وكنت لا أراها بالطبع إلا فى فترات بعيدة لأنهما كانا لا يبقيان فى انجلترا كثيرا. أما أنت فقد كنت ألتقى بك كثيرا.

– نعم واننى أتذكر أنك كنت تأتين وتأخذيننى من المدرسة الداخلية فى عطلة نهاية الأسبوع وفى الأجازات وتمضين بى الى المطاعم حيث كنا نتناول ما لذ وطاب من الطعام.

– كنت طفلة غريبة.. وكنت تحبين الكافيار.

– ومازلت أحبه على الرغم من أنهم لا يقدمونه لى كثيرا.

– وكما يمكن أن تتصورى ذلك فقد روعنى النبأ الذى قرأته كل الروع، وقيل فى ذلك الوقت أن أبواك كانا على أتم وفاق وأنهما كانا متفاهمين دائما وأن الدافع غير معروف. ولم يكن هناك فى الظاهر ما يدل على أى تدخل فى الخارج. وقد روعنى النبأ كما قلت لك ثم أنمحى كل ذلك من ذهنى ليعود من جديد بعد ذلك بسنوات عندما رأيتك. ولكننى لم أتحدث معك عن ذلك بالطبع.

– وقد امتننت لك جدا لذلك. كنت طيبة معى دائما، وكنت تأتيننى بهدايا ثمينة. واذكر على وجه الخصوص تلك الهدية التى جئتنى بها عند بلوغى سن الواحدة والعشرين ثم أنك كنت متفاهمة جدا ومختلفة عن هؤلاء الأشخاص الذين لا ينقطعون عن إلقاء الأسئلة ويريدون أن يعرفوا دقائق حياتك.

– ان الفضول فى طبع الانسان. ولكن يجب أن تعرفى الآن أن الذى أغاظنى من أمر مسز بيرتون كوكس هو أنها كانت غريبة عنى كلية وأننى لم أفهم سبب سؤالها لأنه لا شأن لى به إلا إذا كان..

- إلا إذا كانت له صلة بمشروع زواجى بدسموند؟

- نعم، هذا جائز. ولكن فيم يعنيها هذا؟

- بل ان كل شئ يعنيها بالذات.

- أرجو أن لا يكون ابنها على غرارها.

- أوه، كلا. اننى أحب دسموند، وأظن أن دسموند يحبنى هو الأخر.

- أيحب أمه جدا؟

- لا أدرى. ليس فى نيتى على كل حال أن أتزوج فى الوقت الحاضر.. ليست لى رغبة فى ذلك أبدا. ولكننى أريد أن أعرف.. اذا زودتك بالرد على السؤال الذى ألقته عليك مسز بيرتون كوكس فهل تذهبين اليها وتنقلينه اليها؟

- كلا. أبدا. إذا التقيت بها فسأقول لها صراحة أن الأمر لا يعنينى ولا يعنيها وأنه ليس فى نيتى أن أذهب لاستجوابك.

- كنت أعرف مسبقا أننى أستطيع أن أعتمد عليك. ولهذا السبب لا يضايقنى أبدا أن أقول لك ما أعرفه.

- ليس هناك ما يضطرك إلى هذا على الإطلاق يا سليا، ولاحظى أننى لم أسألك شيئا.

- كلا. ولكننى سأعطيك الرد على كل حال، وهو يتلخص فى كلمة واحدة هى: لا شئ.. أولا شئ تقريبا.

قالت مسز أوليفر فى تفكير:

- لا شئ.

- لم أكن فى البيت عندما وقعت المأساة و..

- أعرف ذلك. ثم أنه نظرا لصغر سنك فى ذلك الوقت كان من المدهش أن تكونى على علم بأى شئ.

- ومع ذلك فانه يهمنى أن أعرف شعورك. هل تظنين أنه كان يجب على منطقيا أن أتذكر كل هذا.

- لو أنك كنت فى البيت لكان من المنطق طبعا أن تتذكرى بعض الأشياء، فان الأولاد والأحداث يراقبون ولهم ذاكرة قوية ويعرفون فى أغلب الأوقات أمورا لا يعرفها الكبار ولكنها أمور يترددون عادة فى ذكرها للمحققين.

- ماذا كان رأى البوليس فى ذلك الوقت؟ لم أقرأ أبدا تقرير التحقيق.

- أظن أن البوليس أعتقد أن المسألة انتحار مزدوج، ولكننى لا أظن أنه حدس أبدا الدافع الذى دفع أبويك الى هذا العمل.

- هل تريدين أن تعرفى شعورى؟

- هذا إلا إذا كنت لا تريدين اطلاعى عليه.

- انك تكتبين روايات ينتحر فيها بعض الأشخاص أحيانا أو يتقاتلون تقريبا وتدفعهم أسباب لمثل هذا التصرف، ولا ريب أن هذه المسألة تهمك؟

- اننى أسلم بهذا طواعية، ومع ذلك فلا أريد لأى سبب أن أسئ إليك فى محاولتى لمعرفة الأحداث التى لا شأن لى بها على كل حال.

– طالما تساءلت كيف لا أعرف إلا القليل مما كان يدور فى البيت. صحيح أننى كنت فى مدرسة داخلية عبر البحار، وانني عندما وقعت المأساة لم أكن قد رأيت أبواى منذ وقت طويل. كانا قد جاء لرؤيتى ذات مرة بسويسرا وهذا كل شئ، ولم ألحظ فيهما أى تغيير.. ربما كان قد ظهر عليهما الكبر شيئا ما. صحيح أن أبى كان يشكو من المرض ولا أدرى أن كان القلب هو الذى أخذه الوهن أو أن كان يشكو من شئ آخر. أما أمى فكانت تبدو عصبية.. كلا، لم تكن نورستانية بمعنى الكلمة، ولكن كانت تشغلها صحتها هى الأخرى. ومع ذلك فاننى لم ألحظ شيئا غير عادى. وعلى كل حال كان يبدو أنهما على وفاق تام.

– لا أظن فى الوقع أن هناك ما يفيدنى فى استعادة الأحداث أكثر من ذلك. لماذا نحاول أن نعرف. لقد حفظت القضية وأصبحت ملكا للماضى البعيد، وكان صدور الحكم بأن المسألة انتحار مزدوج، مرض على كل حال. لم يكن هناك ما يثبت أن فى الأمر جريمة قتل.

– لو أنه كانت هناك جريمة قتل فيبدو لى أن من المنطق أن نظن أن أبى هو القاتل، لان من الطبيعى أن ننحو هذا النحو، أليس كذلك؟.. ولعل كلمة طبيعى ليست الكلمة المناسبة ولعله ينبغى أن أقول أن امرأة كأمى لا تستطيع أن تطلق رصاصة على أى كائن كان لاننى أعتقد أن المرأة تختار وسيلة أخرى غير المسدس. ومهما يكن من أمر فاننى متأكدة من أنه ليست هناك جريمة قتل، لا من جانب أبى ولا من جانب أمى.

– كان فى الاستطاعة مواجهة احتمال تدخل خارجى.

– ماذا تقصدين؟

- من كان يقيم فى البيت فيما عدا أبويك؟

- خادمة تقوم بالخدمة متقدمة فى السن صماء وضعيفة البصر إلى حد كبير وفتاة أجنبية كانت تقوم بدور الوصيفة، وكانت مربية لى فى وقت من الأوقات. وهى فتاة ظريفة على كل حال. وقد عادت لكى تعنى بأمى بعد خروجها من المستشفى. وهناك خالتى أيضا ولكننى لم أكن أحبها كثيرا. ولا أظن حقا أن أيا من هؤلاء كان يمقت أبواى إلى حد الإقدام على قتلهما. ومن ناحية أخرى لم يكن هناك من يستفيد من موتهما فيما عداى أنا وأخى طبعا، وهو يصغرنى بأربع سنوات. على أننا لم نرث ثروة كبيرة لأن أبواى كانا يعيشان على معاشهما على الرغم من أن أمى كانت تملك ثروة صغيرة خاصة بها.

- يؤسفنى أننى ربما أكون قد أثرت أشجانك ببعث هذا الماضى البعيد الى ذاكرتك.

- أنك لم تثيرى أشجانى أبدا فقد بلغت الآن سنا يجب أن أعرف فيها كل شئ خصوصا وأننى كنت أجهل عنهما أشياء كثيرة. حياتهما معا، وماذا كانا يحبان وبماذا كانا يهتمان وما الذى كان لا يروق لهما. وددت لو أن أعرف عنهما كل هذا ثم لا أعود أفكر فى أمرهما بعد ذلك.

- اذن فأنت تفكرين فيهما؟

حدقت سليا فى أشبينتها لحظة فى صمت ثم قالت فى عزم:

- نعم. اننى أفكر فيهما كثيرا، وأستطيع أن أعترف لك بهذا، وكذلك دسموند هو الأخر.

الفتاة الكندية

لم يكن المطعم الصغير مزدحماً واستطاع هركيول بوارو أن يتبين على الفور قامة القوميسير سبنس الضخمة ووقف هذا الأخير ليصافحه ثم قال:

– اسمح لى أن أقدم لك كبير المفتشين جاروواي.. مستر هركيول بوارو.

كان جاروواى رجلاً طويل القامة ناحل العود له وجه ضامر وشعر أشيب فى وسط رأسه دائرة صغيرة أصابها الصلع ومظهره العام يجعله يبدو أقرب إلى رجال الدين وقال:

– أننى الآن على المعاش ولكن ذاكرتى مازالت قوية وأتذكر بعض الأحداث التى لا ريب أن الجمهور نسيها.

أمسك هركيول بوارو نفسه لكى لا يردد شعار مسز أوليفر:

– الأفيال لا تنسى.

جلس الرجال الثلاثة حول المائدة وجاءهم الجرسون بقائمة

الطعام. وكان رئيس البوليس سنبس معتادا على هذا المطعم فزودهما ببعض النصائح بخصوص أنواع الطعام. ولزم الرجال الثلاثة الصمت لحظة أمام كؤوس الشيرى.

وبدأ بوارو الحديث فقال:

– أول كل شئ أدين لكم بالاعتذار إذ أزعجتكم هكذا فجأة بقضية حفظت منذ وقت طويل.

قال سبنس:

– وددت لو أن أعرف ما الذى أثار اهتمامك، فليس من شيمك التنقيب عن الماضى بهذه الصورة. فهل يرجع هذا الاهتمام إلى حادث طارئ أو تراك تشعر بفضول فجائى لقضية ظلت مستغلقة فحسب. إن القوميسير جاروواى، وكان لا يزال مفتشا وقتها، هو الذى كلف بالتحقيق فيها، وهو صديق حميم ولهذا لم أجد صعوبة فى إقناعه بأن يلتقى بك.

قال بوارو:

– وكان من الكرم بأن جاء هنا اليوم لا لشئ إلا لارضاء فضولى فيما يتعلق بمسألة قديمة لا شأن لى بها على كل حال.

قال جاروواى:

– لن أقول هذا فانه يحدث لكل منا أن يهتم بمسألة من مسائل الماضى، مثل ذلك هل قتلت ليزى بورون أباها وأمها بالبلطة حقا؟ ما زال هناك أناس لا يعتقدون ذلك. ومن الذى قتل شارل براثو؟ ولماذا؟.. هناك افتراضات كثيرة ولكن أكثرها لا يستند على أسس متينة.

نظر القوميسير بعينيه الحادتين إلى المخبر السرى وقال:

– وقد اهتم مسيو بوارو قبل ذلك بقضايا تمت إلى الماضى إذا لم أخطئ.

قال سبنس:

– مرتين أو ثلاث مرات.. مرة تلبية لالتماس فتاة كندية، أليس كذلك؟

قال بوارو:

– هذا صحيح. فتاة كندية حادة الطباع مشبوبة العاطفة تتدفق حيوية ونشاطا جاءتنى لكى أحقق فى جريمة قتل حكم على أمها بالإعدام بسببها وماتت الام قبل تنفيذ الحكم، وكانت الابنة متأكدة من براءتها.

– وأنت؟.. هل كنت متفقا معها على ذلك؟

– ليس فى اللحظة التى كشفت لى فيها الوقائع لأول مرة. ولكن كان يبدو عليها أنها واثقة جدا.

قال سبنس:

– كان من الطبيعى أن تتمنى الفتاة على الرغم من كل الظواهر أن تكون أمها بريئة وأن تحاول إثبات ذلك.

أجاب بوارو فى تفكير:

– بل أنها فعلت أكثر من ذلك. عرفت كيف تقنعنى أى نوع من النساء كانت أمها.

– امرأة لا تستطيع ارتكاب جريمة قتل؟

– ليس تماما. والغريب فى الأمر والذى أثار اهتمامى هو أنها لم تحاول قط أن تعلن براءتها. كان يبدو أنها راضية تماما بالحكم الذى صدر عليها، واعترف أن هذا الأمر فى حد ذاته جعلنى أفكر. هل كانت غير مكترثة بمصيرها إلى هذا الحد ومتشائمة؟.. ولكن ما أن بدأت تحرياتى حتى لمست الدليل على أن الامر ليس كذلك وأنه على النقيض تماما.

انحنى جاروواى فوق المائدة وراح يفتت كسرة الخبز التى فى طبقة فى حركة آلية. كان يبدو عليه الاهتمام. وسأل:

– وهل كانت بريئة؟

أجاب بوارو:

– نعم. كانت بريئة. كانت هناك بضع نقاط تجعلها أن تكون مذنبة. نقطة لم يهتم بها أحد أثناء التحقيق.

واتى الجرسون فى هذه اللحظة بطبق فخم من السمك. وقال سبنس:

– وقد اهتممت أنت كذلك بقضية أخرى كانت قد حفظت ولكنها تختلف كل الاختلاف عن القضية الأولى. كان الأمر يتعلق بفتاة أخرى ولكنها كانت تدعى أنها رأت بعينيها جريمة قتل أثناء أحد الاجتماعات.

قال بوارو:

– فى هذه القضيـة بالذات كـان لابد لى.. مـاذا أقـول.. أن أرتد خطوات الى الوراء بدلا من أن أتقدم الى الأمام.

– وهل رأت تلك الفتاة جريمة قتل حقا؟

– كلا. لان الأمر كان يتعلق بفتاة غيرها. هذا السمك لذيذ حقا.

قال سبنس:

– إن السمك فى هذا المطعم لذيذ دائمـا.. وهذه الصلصة شهية حقا. وملا طبقه منها فى حين استطرد جارووای: عندما جاءنى سبنس يسألنى اذا كنت أتذكر قضية رافنسكروفت تملكتنى الحيرة والدهشة معا.

– أنت أذن لم تنسها.

– كلا. فهى ليست من القضايا التى ينساها المرء بسهولة.

– لا ريب أنك متفق معى فى أننا واجهنا كل الافتراضات المختلفة بعضها عن الأخر. أكان هذا بسبب نقص القرائن.

– كلا إذا أردت الحق. تطابقت كل الشهادات مع الوقائع، وقد كانت هناك ميتات أخرى مشابهة، ومع ذلك...

كرر بوارو:

– ومع ذلك؟

– كان هناك شئ لا يتطابق.

صاح سبنس فى فضول:

– آه.

وقال المخبر السرى:

– هذا هو نفس الإحساس الذى أحسست به أثناء التحقيق فى قضية أخرى. هل تذكر؟

– أظنك تعنى قضية مسز ماك جينتى؟

– هو ذلك. لم تكن راضيا عندما صدر الحكم على ذلك الشاب الذى يجب أن نعترف أن سلوكه كان يدعو إلى الاستغراب، فقد كانت لديه كل الأسباب لكى يرتكب الجريمة وكان يبدو أنه ارتكبها فعلا. وكان هذا رأى الجميع. ولكنك أنت كنت مقتنعا بأنه غير مذنب، وكنت متأكدا من ذلك الى حد أنك جئت تسألنى إذا لم أكن أريد اكتشاف الحقيقة.

– وقد ساعدتنى كثيرا، ويجب أن أعترف بذلك بكل إخلاص.

تنهد بوارو وقال:

– ومع ذلك فقد كان شابا بغيضا. كان يكاد يستحق الشنق لا لأنه ارتكب الجريمة ولكن لأنه كان يرفض بصفة مستمرة مساعدتنا فى المهمة الدقيقة التى أخذناها على عاتقنا على أمل اثبات براءته. وها نحن الآن أمام قضية رافنسكروفت.. فوميسير جاروواى، كنت تقول منذ لحظة أن هناك شيئا لا يتطابق.

– نعم. وكنت متأكدا من ذلك تمام التأكيد.

– هذه أمور تقع أحيانا. ولدينا الادلة وكذلك الدافع والمناسبة وآثار

من كل نوع وكذلك الإعداد لارتكاب الجريمة فى بعض الأحيان، ومع ذلك فان المحققين يشعرون بأن كل هذا مدبر وملفق تماما كما يشعر الخبير فى دنيا الفن بأنه أمام لوحة زائفة وذلك حتى قبل أن يكتشف أدلة ملموسة على هذا الزيف.

واستطرد القوميسير يقول:

– ولسوء الحظ لم أستطع أن أفعل الشئ الكثير، فقد فحصت المسألة من جميع وجوهها ومن جميع نواحيها، لو جاز لى أن أقول ذلك، واستجويت أعدادا كبيرة من الناس ولكن عبثا، فقد كانت القضية تبدو انتحارا مزدوجا حقا، وكانت لها كل المظاهر التى توحى بذلك. وكان يمكن الادعاء من ناحية أخرى طبعا بأن أحدهما، الزوج أو الزوجة قتل الأخر ثم انتحر، فمثل هذه الأمور تقع كذلك، ولكن حين نجد أنفسنا أمام مثل هذه الظروف فإننا نعرف عادة أن الجريمة وقعت بهذه الطريقة، ونعرف الدافع الى ذلك فى أغلب الحالات.

سأل بوارو:

– ولكنك لم تجد أى دافع فى القضية التى نحن بصددها؟

– أبدا. عندما نبدأ التحقيق هناك قاعدة عامة وهى أن ننظر الى الناس الذين تدور حولهم القضية نظرة دقيقة، وفى تلك الحالة بالذات كان الزوج يتمتع بسمعة حسنة، وكان يبدو أن زوجته تحبه وأنها متعلقة به، وكانا على أتم وفاق هما الاثنان. كان يبدو أنهما سعيدان تماما وكانا يخرجان للنزهة معا دائما ويشتركان فى المساء فى لعب البريدج أو البوكر. وكان لهما ولدان لا يسببان لهما أية مشاكل خاصة. صبى

صغير فى مدرسة إنجليزية وطفلة فى مدرسة داخلية بسويسرا.. الخلاصة، لم نستطع أن نجد فى حياتهما أى شئ غير عادى، وإذا نحن صدقنا الشهادات الطبية التى جمعناها فلم يكن هناك ما يثير القلق من الناحية الصحية. فى وقت ما شكا الزوج من ارتفاع الضغط ولكنه كان يعالج نفسه بصفة مستمرة بالأدوية الخاصة. وشكت الزوجة من القلب ذات مرة، ولكن لم يكن هناك ما يثير القلق حقا، ومن الممكن طبعا، كما يحدث فى بعض الأحيان أن أحدهما أحس بمخاوف جدية من نحو صحته، فهناك عدد كبير من الناس، على الرغم من أنهم فى صحة جيدة يعتقدون أنهم مصابون بالسرطان وأنهم لن يعيشوا سنة أخرى. ويحملهم هذا الاعتقاد أحيانا إلى الانتحار. وهذه حالة شائعة أكثر مما يمكن أن نعتقد، ومع ذلك فان آل رافنسكروفت كانا هادئين متزنين لا يبدو أنهما يمتان إلى هذه الطبقة من موسوسى المرض.

سأله بوارو:

– وما الذى حسبته إذن؟

– المزعج هو أننى أحسست تقريبا بأننى عاجز عن أن أبدى لنفسى رأيا. والآن، عندما أنظر الى الوراء أقول لنفسى أن المسألة لا يمكن أن تكون الا انتحارا مزدوجا، وأنهما لسبب لا ندريه قررا أن الحياة أصبحت لا تطاق. ولكن هذا القرار لم يكن سببه أية متاعب مالية أو صحية. وكذلك لم يكن بسبب سوء تفاهم على الإطلاق. وجدت نفسى فى مأزق حقا، فقد خرجا للنزهة معا ومعهما مسدسهما، وهذه النقطة فى حد ذاتها أمر غريب، ويجب أن نعترف بذلك.. وهو مسدس وجدناه بعد ذلك بجوار الجثتين. وقد أثبتت البصمات التى وجدناها

عليه أن الزوج والزوجة عالجاه معا، ولكنها كانت بصمات معقدة بحيث لم نستطع أن نتبين من الذى استعمله آخر مرة. افترضنا أن الزوج قتل زوجته أولا ثم انتحر ولكننا افترضنا ذلك لا لشئ إلا لأنه كان يبدو أمرا معقولا أكثر من غيره. وقد مرت سنوات كثيرة ومع ذلك فعندما أقرأ فى إحدى الجرائد أنهم عثروا فى مكان ما على جثتى رجل وزوجته لا أملك الا أن أعود القهقرى وأن ألقى على نفسى الأسئلة فأتساءل لماذا اضطر آل رافنسكروفت إلى الإقدام على مثل هذا العمل. نعم، لماذا؟ هل كان الزوج يكره زوجته دون علم الجميع. أو هل كانت الزوجة على العكس من ذلك، هى التى عملت على التخلص من زوجها؟ هل كان كل منهما يمقت الأخر إلى حد أنه لم يستطع احتمال الموقف أكثر من ذلك؟.. هل لديك رأى آخر يا مستر بوارو؟ هل اطلعت على شئ أثار اهتمامك. وهل تعرف شيئا يستطيع أن يجلو لنا سر هذه المسألة؟

- كلا. ولكننى أعتقد أنك كونت لنفسك نظرية ما.

- بالطبع. هناك دائما آراء ونظريات ونرجو أن تكون أحداها صحيحة، ولكن مما يؤسف له ألا تجرى الأمور كما نشتهى دائما. وأنت تعرف ذلك خيرا منى. ونظريتى انا لم تستطع أن تحملنى بعيدا فيما يتعلق باكتشاف الدافع لأننى لم أكن أملك ما يكفى من المعلومات. والحق أننى لم أكن أعرف الشئ الكثير عن القتيلين. كان الجنرال رافنسكروفت يخطو نحو الستين وكانت زوجته فى الخامسة والثلاثين، ولكننى فى الواقع لم أكن أعرف غير الخمس أو الست سنوات الأخيرة من حياتهما لانهما عادا إلى انجلترا بعد أن اعتزل الجنرال الخدمة

وأقاما فى بورتموث فترة من الوقت قبل أن ينتهى بهما الأمر إلى الإقامة بصفة نهائية فى تلك الفيللا التى وقعت المأساة بجوارها، فى إقليم كنت. وكانا يعيشان فيها عيشة بسيطة لا تتخللها أية تعقيدات. وكان ولداهما يأتيان لقضاء الأجازات معهما.. حقبة هادئة عقب معيشة أكثر هدوءا فى الخارج. ومع ذلك، ومع إمعان التفكير، ما الذى كنت أعرفه عن تلك المعيشة التى يقال أنها كانت هادئة وبعيدة عن المشاكل. فى خلال السنوات الأخيرة لم يكن هناك كما علمت أية مشاكل مالية ولا أية أسباب للحقد أو أية مشاكل جنسية أو غرامية. ولكن قبل هذه الحقبة؟ قضيا أكبر جزء من حياتهما فيما وراء البحار ولم يقيما فى انجلترا غير فترات قصار. ثم أن الجنرال كان رجلا مرموقا وكان أصدقاء الزوجة الشابة يحتفظون عنها بذكرى جميلة. لم تكن هناك أية صعوبة ولا أى شجار. ولم يسمع عنهما أحد أى شئ، ولكن حقبة كبيرة مرت على كل حال منذ زواجهما، وهى حقبة قضياها فى مختلف بلاد الكومونويلث، وخاصة فى الهند. ولعل أصل المأساة موجود هناك. هناك حكمة مأثورة كانت جدتى تحب ترديدها وهى: جذور أخطائنا تتغلغل فى الماضى فهل معنى هذا أنه كان يجب أن أتصور أن الدافع للمأساة كان موجودا فى ذلك الماضى الذى لا أعرف عنه شيئا تقريبا! كان من العسير، بل يكاد يكون من المستحيل أن أتأكد من ذلك فى الواقع، فانه يمكننا أن نعرف سوابق كل شخص بسهولة وأن تعرف عنه أخص خصائصه. وشيئا فشيئا رأيت أنه كان ينبغى أن أتحرى عن هذه الحقبة الماضية فمن الجائز أن شيئا ما وقع فى بلد آخر.. حدث حسبه الناس أن النسيان طواه إلى الأبد دون أن يكون الأمير كذلك.. ضغينة قديمة لا يعرف أحد هنا شيئا عنها. لو اننى

كنت أعرف أين أبحث.

- من الجائز فى الواقع أنه ليس هناك من أصدقائهما الإنجليز من يعلم بهذا الحدث.

- لاسيما أنهم أصدقاء حديثو العهد، ومن الجائز أن بعض معارفهما القدماء كانوا يأتون لزيارتهما من وقت لآخر، ولكن ليس من المؤكد أنهم عرفوا عنهما سرا ما، هذا إذا كان هناك سر. ثم أن الناس ينسون.

وافقه بوارو قائلا:

- نعم. أن الناس ينسون.

- أنهم ليسوا كالأفيال إذ يقال أن هؤلاء يتمتعون بذاكرة قوية.

- من العجيب أن تقول ذلك.

- أن الناس ينسون الماضى؟

- لم يدهشنى هذا القول بالذات وإنما أدهشنى ما قلت عن الأفيال.

تأمل القوميسير جارووای بوارو فى شئ من الدهشة منتظرا إيضاحا كما يبدو. وألقى سبنس نظرة إلى صديقه القديم وقال:

- ربما ينبغى أن نواجه حدثا وقع فى الهند، فان الأفيال تأتى من هناك، أليس كذلك؟ أو لعلها تأتى من أفريقيا.

قال بوارو:

- صديقة حميمة لى تدعى مسز أوليفر حدثتنى منذ أيام عن هذه

الحيوانات.

– أريان أوليفر؟.. أتراها تعرف شيئا ما بالصدفة؟

– لا أظن أنها تعرف شيئا ما فى الوقت الحاضر. ولكن لن أدهش أبدا إذا هى عرفت بعض الأشياء فى وقت قريب.

لزم المخبر السرى الصمت لحظة قبل أن يستطرد قائلا:

– أنها تنتمى إلى هذا النوع من النساء الذى يؤوى أشخاصا كثيرين ويعرفون الكثير عادة.

– ألديها نظرية ما بخصوص المسألة التى تشغلنا؟

قال جارووای:

– هل تتكلمان عن كاتبة الروايات البوليسية؟

– نعم.

– هل لها معرفة بعلم الإجرام؟ أعرف أنها تكتب روايات بوليسية ولكننى لم أفهم أبدا من أين تستمد أفكارها ووقائعها.

أجاب بوارو:

– أما الأفكار فتستمدها من ذهنها أما الوقائع فأمرها أشد صعوبة (وأمسك المخبر السرى عن الحديث لحظة).

وسأله سبنس:

– فيم تفكر يا بوارو؟ أفى شئ خاص؟

– كنت أفكر فى اننى هدمت ذات مرة رغما عنى إحدى نظرياتها.

على الأقل هي التي أكدت لي بذلك، فقد خطرت لها فكرة معينة... شئ له علاقة ببلوفر من الصوف طويل الكمين. وقد اتفق أن كلمتها في التليفون في هذه اللحظة بالذات لكي أسألها عن شئ ما فأضعت عليها فكرتها، ومازالت حتى الآن تعتب على ذلك من وقت لآخر.

- انك جعلتني أفكر في عود البقدونس الذي انغرز في الزبدة في يوم كان شديد السخونة هل تعرف شرلوك هولمز والكلب الذي لم ينبح بالليل.

- هل كانا يملكان كلبا؟

- أرجو المعذرة.

- أعني الجنرال رافنسكروفت وزوجته؟.. هل كانا يملكان كلبا؟.. وهل اصطحباه معهما في ذلك اليوم الذي لقيا فيه مصرعهما؟

أجاب جاروواي:

- كان لديهما كلب وأعرف أنهما كانا يصطحبانه معهما في نزهاتهما في أغلب الأوقات ولكنني لا أستطيع القول...

- لو أننا أمام احدى روايات مسز أوليفر لوجدنا الكلب المسكين يبكي بجوار جثتي صاحبيه، ولكن الأمور تدور بطريقة مختلفة في الحقيقة. وعلى كل حال فالأمر لم يقع كذلك.

هز جاروواي رأسه في حين قال بوارو:

- انني أتساءل أين هذا الكلب الآن.

- أظن أنه مدفون في مكان ما من الحديقة... تذكر أن هذه

القصة وقعت منذ أربعة عشر عاما.

قال المخبر السرى فى تفكير:

- لا يمكننا أن نذهب لاستجوابه إذن، وهذا أمر يؤسف له. من العجيب أن نلاحظ أن عددا كبيرا من هذه الحيوانات يمكن أن تعرف أشياء كثيرة. من كان فى البيت يوم المأساة؟

أجاب القوميسير جارووای:

- اننى أحضرت معى قائمة هذا الاحتمال. لدينا أولا مسز وايتاكر، وهى خادمة عجوز وكانت تقوم أيضا بمهام الطاهية. وهى صماء وضعيفة البصر ولم تستطع أن تقدم لنا أى عون. ثم إن اليوم الذى وقعت فيه المأساة كان يوم عطلتها الأسبوعية. وكل ما استطاعت أن تخبرنا به هو أن الليدى رافنسكروفت كانت قد خرجت منذ وقت قريب من المستشفى، والظاهر أنها كانت قد دخلتها لتعالج أعصابها. ولدينا بعد ذلك البستانى ثم فتاة أجنبية كانت تشرف قبل ذلك على تربية الطفلين.

- ومع ذلك فقد كان فى استطاعة شخص مجهول أن يأتى من الخارج ويقتحم القصر. هل خطرت لك هذه الفكرة أيها القوميسير؟

- طبعا. ولكننا لم نجد ما يدعمها.

ولم ينطق بوارو وسرح بفكره إلى وقت اضطر فيه هو بالذات أن يرجع الى الماضى وأن يدرس حالة أشخاص خمسة وقد انتهى به الأمر إلى اكتشاف الحقيقة.

جـولـيـا

عندما عادت مسز أوليفر إلى بيتها في صباح اليوم التالي كانت مس ليفنجستون في انتظارها وقد قالت لها:

– كانت هناك مكالمتان لك يا سيدتي.

– آه، نعم؟

– كانت المكالمة الأولى من كريشتون وسميث أرادا أن يعرفا إذا كنت تختارين البروكار الزيزفون أو الأزرق الباهت.

– لم تستقر نيتى بعد على أيهما، ذكرينى بأمرهما غداً صباحاً، ليس هذا بالأمر العاجل.

– والمكالمة الثانية من رجل أجنبي، رجل يدعى هركيول بوارو.

– وماذا كان يريد؟

– يريد أن يعرف إذا كنت تستطيعين الذهاب لزيارته اليوم بعد الظهر.

– لا أستطيع على الإطلاق. أرجو أن تتصلى به وأن تخبريه أننى مشغولة جدا ولا أجد من وقتى دقيقة واحدة. يجب أن أخرج ثانية على كل حال هل ذكر لك رقم تليفونه؟

– نعم يا سيدتى.

– هذا حسن، سيجنبك هذا مشقة البحث فى الدليل. قولى له أن يلتمس لى عذرا وأننى لا أستطيع أن أزوره ظهر اليوم لاننى أتعقب فيلا.

– أوه... حسنا يا سيدتى.

تأملت مس ليفنجستون الكاتبة وهى تتساءل أن لم تكن على حق فى أن تظن فى بعض الأحيان أن مسز أوليفر على الرغم من موهبتها الأدبية، كانت مختلة العقل.

وقالت مسز أوليفر:

– لم أحاول اصطياد الأفيال قبل ذلك ولكن يجب أن أعترف بأنها تجربة مدهشة حقا.

ومضت إلى الصالون وفتحت أول مجلد من المجلدات التى فوق الأريكة. وكان فى حالة يرثى لها لأنها أساءت استعماله أمس وهى تبحث عن عدد من العناوين!

وتمتمت تقول:

– الواقع أننى يجب أن أبدأ من مكان ما. وأظن أنه يجب أن أبدأ بزيارة جوليا. هذا إذا لم يكن عقلها قد اختل تماما. كان لها دائما آراء

كثيرة ثم أنها كانت تعرف المنطقة كلها. نعم، أظن أننى سأبدأ بها.

وقالت مس ليفنجستون:

– هناك أربع خطابات يجب أن توقعى عليها يا سيدتى.

– ليس لدى متسع من الوقت الآن. يجب أن أذهب الى هامبتون كورت، وهو ليس بالمكان القريب.

xxx

نهضت جوايا كارستيرز عن مقعدها فى جهة وتقدمت بضع خطوات لكى ترى تلك الزائرة التى أخبرتها أيما بقدومها تلك الخادمة المخلصة التى تشاركها مسكنها الصغير، ذلك المسكين المخصص للأشخاص المسنين الذى تقيم فيه منذ سنوات. كانت صماء نوعا ما ولم تسمع الاسم جيدا... مسز جوليفر؟.. لم تتذكر أنها عرفت امرأة بهذا الاسم. وتطلعت الى وجه زائرتها فى فضول وبدأت مسز أوليفر تقول:

– أظن انك لا تتذكريننى لأننا لم نلتق منذ سنوات عديدة. وكانت مسز كارستيرز تتذكر الأصوات أكثر من الوجوه شأن الكثير من المسنين فصاحت:

– – يا الهى!.. ولكن.. أنها هذه العزيزة أريان... شد ما يسرنى أن أراك.

– تصادفت أن كنت فى زيارة بعض الناس على مقربة من هنا ورأيت فى دفتر مذكراتى أننى لست بعيدة عنك. أن مسكنك هذا جميل.

– نعم. لا بأس به. انه ليس كما وعدونى فى البداية ولكن له مزاياه على الرغم من ذلك، فهو وان كان صغيرا إلا أنه مريح. وهناك مطعم قريب يمكن أن نتناول طعامنا فيه. نعم، لا بأس به. ثم ان الحديقة جميلة والعناية بها مستمرة، ولكن تفضلى بالجلوس يا اريان. أرى أنك فى صحة جيدة. قرأت فى اليوم السابق فى صحيفتى أنك كنت مدعوة الى مأدبة أدبية. ما أعجب هذا! ما أن نقرأ اسم شخص أو نسمع عنه نراه بعد يومين على الأكثر.. ان ظروف الحياة عجيبة فى أغلب الأحيان.

أجابت الكاتبة وهى تجلس فى المقعد الذى قدمته لها جوليا كارستيرز:

– هذا صحيح... هذه أشياء تقع دائما.

– أما زلت تقيمن فى لندن؟

– نعم.

وسألتها مسز أوليفر عن بناتها، وأحداهن تقيم فى نيوزيلند وعن أولادهن. ودقت المرأة العجوز بعد ذلك الجرس وعندما جاءت ايما طلبت منها أن تعد الشاى.

– الواقع أنه مضت سنوات كثيرة لم أرك فيها.

– أظن أن آخر مرة كانت زواج آن ليولن.

– إن زيجات اليوم ليست كما كانت فى أيامنا. أن بعض الأشخاص يقدمون على ارتداء ملابس فى غاية الغرابة. كانت إحدى صديقاتى مدعوة الى حفلة زواج فى الأسبوع الماضى، وقد أكدت لى أن العريس

كـان يرتدى حلة من الســاتان الأبيض ويلف حــول عنقـه غــلالة من الدانتيللا الثمينة وأرى أن هذا أمر غريب حقا. أما العروس فكانت ترتدى بنطلونا أبيض موشى بقلوب خضراء.

– ما أغرب هذا الأمر!.. ومضيا الى الكنيسة بهذا الزى العجيب؟.. لو اننى من القسيس لرفضت البتة أن أزوج هذين المأفوفين.

وانقطع الحديث بين المرأتين لحظات لكى يستأنفاه من جديد بعد انصراف ايما التى جاءت بالشاى.

– رأيت سليــا، ابنتى فى العــمــاد منذ يومين أو ثلاثة. أظن أنك تتذكرين آل رافنسكروفت على الرغم من مرور كل هذا الوقت الطويل؟

– آل رافنسكروفت. أوه، طبعا.. يا لها من مأساة محزنة. قيل أنه انتحار مزدوج.. على مقربة من منزلهما فى أوفركليف.

– ان لك ذاكرة عجيبة يا جوليا.

– اننى تمتعت بذاكرة قوية دائما، وهذا صحيح، على الرغم من أننى أنسى الأسماء أحيانا. نعم أنها مأساة محزنة. كانت ابنة عمى رودى فوستر تعرفينها عندما كان الجنرال فى الهند حيث نجح فى عمله أيما نجاح..

– وأنت أيضا تتذكرينهما، أليس كذلك؟

– طبعا، فقد أقاما فى أوفركليف نحو خمس أو ست سنوات.

– كان اسمها مرجريت، ولكن الجميع كانوا يدعونها موللى، وكانت تضع على رأسها باروكة فى أغلب الأحيان؟ بل انها حاولت اقناعى بأن

اشترى واحدة أنا الأخرى وكانت تقول أنها عملية جدا خصوصا أثناء السفر. كان لديها أربع باروكات مختلفة. واحدة منها للمساء وأخرى للسفر وكان يمكن أن تلبس قبعة فوق هذه الأخيرة دون أن تصاب بأى تلف.

قالت مسز أوليفر:

– اننى لم أكن أعرف الجنرال رافنسكروفت وزوجته جيدا مثلك. ثم أننى حين وقعت المأساة كنت فى الخارج ولهذا لم أعرف التفاصيل.

– أنها مسألة غامضة على العموم. وقد دارت قصص كثيرة يختلف بعضها عن البعض ولكننى أعتقد أن أحدا لم يعرف الحقيقة أبدا.

– ومع ذلك فاننى أظن أنه هناك تحقيق.. فماذا كانت نتيجته؟

– جرى التحقيق طبعا كما يحدث فى جميع حالات الموت العنيف، ولكن لم يستطع المحققون تحديد ما حدث بالضبط. تكلموا طبعا عن جريمة قتل يليها انتحار، ولكن من رأيى أن المسألة كانت مجرد انتحار مزدوج.. أما الدافع..

– ألم يخطر لهم أنه قد يكون هناك جريمة قتل ارتكبها شخص ثالث؟

– كلا. بل أنهم أكدوا أن لا شئ هناك يمكن أن يدعم هذه النظرية، فلم تكن هناك آثار عجلات سيارة ولا آثار أقدام. كان يبدو واضحا أنه لم يقترب منهما أى شخص. وكانا قد غادرا الفيللا بعد تناول الشاى ليقوما بنزهتهما العادية. وعندما لم يعودا فى موعد العشاء بدأ القلق عليهما وأسرع البستانى للبحث عنهما ولم يلبث أن اكتشف الجثتين

والمسدس بجوارهما.

- كان المسدس ملكا للجنرال رافنسكروفت، أليس كذلك؟

- نعم. كان يملك مسدسين كغيرة من العسكريين القدامى، وكان المسدس الثانى موجودا فى درج مكتبه. وكان قد خرج وأخذ المسدس الأخر معه. ويبدو أنه من المستبعد أن تكون الزوجة هى التى أخذته.

- من المستبعد ذلك فى الواقع. بل ان هذا كان أمرا عسيرا عليها.

- لم يكن هناك شئ ظاهريا يمكن أن يدفعهما إلى مثل هذا العمل اليائس. ولكن لا يدرى أحد أبدا أسرار حياة الغير، أليس كذلك؟

- هذا صحيح يا جوليا.. لا يدرى أحد ذلك. ولكن هل كونت لنفسك رأيا ما؟

- الحق أن المرء لا يسعه إلا أن يفكر. لعل الدافع صحى فقد أشيع أن الجنرال كان مصابا بالسرطان أو بمرض عضال. ومع ذلك واستنادا إلى التقارير الطبية لم يكن مصابا بأى شئ. كان قد تعرض لأزمة قلبية ولكنه لم يلبث أن شفى منها تماما. أما زوجته فكانت عصبية بعض الشئ.

- يخيل لى فى الواقع أننى أتذكر هذا الأمر.

ولزمت مسز أوليفر الصمت لحظة ثم قالت فجأة:

- وبهذه المناسبة، هل كانت موللى رافنسكروفت تلبس باروكة عندما لقيت مصرعها.

- لا أستطيع الجزم بذلك. ولكننى أعرف أنها كانت تلبس باروكة دائما.

– أعترف أن هذا الأمر يحيرنى بالذات فأنها إذا كانت تنوى الانتحار أو قتل زوجها فأنها ما كانت لتلبس الباروكة.

وتجادلت المرأتان فى هذه النقطة لمدة دقائق ثم قالت مسز أوليفر:

– ما هو اعتقادك الشخصى يا جوليا؟

– من العسير أن أبدى أى رأى فقد دارت بعض الإشاعات وقيلت أشياء كثيرة.

– ضده أو ضد زوجته.

– دارت الهمسات على الأخص حول امرأة أخرى... سكرتيرة الجنرال.. فقد كان يكتب مذكراته.. ذكرياته فى الهند. وكان يمليها على هذه المرأة الشابة بالطبع. وقد أشاع البعض، ولعلك تعرفين كيف تدور هذه الشائعات انه كانت هناك علاقة بينهما. ولم تكن السكرتيرة فتاة فى مقتبل العمر على كل حال.. أظن أنها كانت فى الخامسة والثلاثين، ولم تكن جميلة بنوع خاص، ومع ذلك فقد حسب البعض أن الجنرال رافنسكروفت قتل زوجته لكى يتزوج سكرتيرته، ولكنهم لم يجهروا بذلك، وعلى كل حال، فاننى لم أصدق هذا القول أبدا.

– ماذا ظننت إذن؟

– ألقيت على نفسى أسئلة حول موللى على الخصوص.

– هل تقصدين أن بعضهم ذكر اسم رجل؟

– أظن أنه حدث شئ فى ماليزيا، فقد سمعت كلاما يدور عنها.. كانت لها علاقة برجل يصغرها سنا. ويقال أن زوجها لم يرق له ذلك

أبدا وأنه وقعت فضيحة صغيرة. ولكن هذا منذ وقت طويل ولا أظن حقا أن الجنرال كان ينتظر كل هذه المدة لكى ينتقم إذا كان ينوى الانتقام.

– ألم يتكلم أحد عن أية قصة من هذا النوع وقعت فى مكان الجريمة.. عن علاقة مع أحد الجيران مثلا أو عن مشاجرة وقعت بين الزوجين؟

– كلا. لا أظن ذلك. قرأت كل ما كتبته الجرائد عنهما، وتحدثنا عن كل ذلك طبعا لان اناسا كثيرين كانوا يشعرون بالذات أنه لابد أن تكون هناك قصة حب.

– ولكنك مع ذلك انتهيت الى الاعتقاد بأنه لم يكن هناك شئ من هذا القبيل.. والأولاد؟

– كان هناك طفلان كما تعرفين. الأكبر طفلة فى الثانية عشرة من عمرها كانت بمدرسة داخلية فى سويسرا والثانى صبى أصغر منها سنا وكان فى مدرسة إنجليزية.

– أظن أنهم لم يكتشفوا فى الأسرة أية آثار.. عن أمراض عقلية؟

– كلا. وأكاد أكون واثقة من ذلك. ولكن لا يسعنى إلا إن أفكر..

– نعم يا جوليا؟

– لا يسعنى إلا أن أفكر فى أنه ربما كان فى الأمر رجل آخر غير الزوج على الرغم من كل شئ.

– هل تقصدين أن الليدى رافنسكروفت..

– لا يبدو هذا مستبعدا أبدا.. فأول كل شئ كانت هناك الباروكات..

– أعتقد أننى لا أفهم تماما دور الباروكات فى هذه المسألة.

– أنها كانت تضفى عليها جمالا بشكل محسوس.

– والآن أظن أنها لم تكن قد تجاوزت الخامسة والثلاثين.

– بل كانت فى السادسة والثلاثين، وقد أرتنى باروكتها ذات يوم. ويجب أن أعترف بأنها كانت تليق عليها كثيرا، الى جانب أنها كانت جميلة جدا. وكانت تعنى بمظهرها كل العناية. والظاهر أن كل هذا بدا عندما جاء للإقامة فى المنطقة.

– وكل هذا يدفعك إلى الظن بأنها ربما تعرفت برجل..

– هذا احتمال يمكن مواجهته على كل حال.. عندما يخرج رجل مع فتاة فسرعان ما يلحظ الناس ذلك لان الرجال ليسوا من الذكاء ليحرصوا على إخفاء أمورهم بعكس النساء وربما استطاعت موللى التعرف برجل دون أن يلحظ أى أحد ذلك.

– هل تعتقدين هذا حقا يا جوليا؟

– طبعا. وان من الغريب أن ما من أحد من الجيران قد لاحظ ذلك، ولكن لا يدرى أحد أبدا. واذا كان الزوج قد اكتشف السر..

– أتكون جريمة قتل إذن تسببت فيها الغيرة؟

– لن يدهشنى هذا أبدا.

– إذا صح هذا فيكون الجنرال رافنسكروفت هو الذى بدأ بإطلاق

الرصاص على زوجته قبل أن ينتحر.

– هذا يبدو واضحا، لأنه إذا كانت هى التى أرادت أن تتخلص منه فأنها ما كانت لتخرج للنزهة معه. وما كانت لتأخذ مسدسا فى حقيبة يدها على الخصوص فانه يشوه منظر الحقيبة.. إننا مضطرون إلى أخذ مثل هذه التفاصيل المادية فى الاعتبار.

– إن ملاحظتك لها قيمتها.

– لا ريب إن هذه المسألة هامة لك فأنت تكتبين قصصا تدور حول الجرائم، ولابد أنك تعرفين خبرا من أى شخص آخر كيف تدور الأمور فى مختلف الحالات التى يمكن أن تقع.

– كلا. لان الروايات التى أكتبها تدور كلها حول جرائم قتل ابتدعها من الخيال المحض ولا يحدث فيها الا ما أريده أن يحدث. ولكن يهمنى على العكس من ذلك أن أعرف ما يدور فى رأسك أنت، فانك تعرفين الناس جيدا وقد خطر لى أن مولّلى ربما أطلعتك على شئ قبل موتها.

– كلا. لا أذكر أنها أطلعتنى على أى شئ.. كلا حقا.



الأفيال لا تنسى

وقفت مسز أوليفر لحظة واحدة مترددة أمام الدرجات الحجرية الثلاث المؤدية إلى باب بيت عتيق متداع فى شارع ضيق كان منظره منفراً يخفف من حدته صف من زهور الثيوليب تنمو تحت نوافذه.

فحصت الكاتبة دفتر عناوينها الصغير لكى تتأكد من أنها لم تخطئ ثم دقت الجرس وإذ رأت أن حركتها هذه بقيت دون مجيب لجأت إلى المطرقة الحديدية المعلقة بالباب والتى يعلوها الصدأ، ولم تكن لهذه الحركة هى الأخرى أى تأثير فراحت تدق من جديد وبصورة أقوى.

وبعد لحظات سمعت شخصاً يجر قدميه فى الداخل وهو يتنفس بصعوبة ويحاول أن يفتح الباب. ثم تناهت الى أذنيها بضع كلمات من خلال فتحة صندوق الخطابات تقول:

– لعنة الله عليك!.. إن هذا الباب القذر قد انحشر مرة أخرى.

وأخيرا انفتح الباب وهو يصدر صريرا شديدا وظهرت امرأة متقدمة فى السن تملأ وجهها الغصون محدودبة الكتفين، كان يمكن أن تكون فى السبعين أو الثمانين من عمرها. وقالت:

- لا أدرى ماذا تريدين ولكننى..

وأمسكت فجأة وتفرست فى وجه زائرتها فى اهتمام ثم صاحت:

- يا الهى!.. ولكن هذه مس أريان!.. ما أسعدنى برؤيتك!

- كيف حالك يا مسز ماتشام؟

وعادت المرأة العجوز تقول فى تأثر:

- مس أريان.

فكرت مسز أوليفر ان أحدا لم يدعها بمس اريان منذ وقت طويل. واستطردت مسز ماتشام تقول:

- ولكن تفضلى.. يا الهى!.. لم أرك منذ خمسة عشر عاما على الأقل.

كانت المدة أكثر من هذا بكثير ولكن مسز أوليفر لم تر أى داع لان تخبرها بذلك وشدت على يد المرأة العجوز التى ترتعش ودخلت. وأغلقت مسز متشام الباب وأدخلت زائرتها إلى غرفة استقبال صغيرة تغطى جدرانها صورة فوتوغرافية قديمة جدا أحداهما لامرأة شابة ترتدى ثياب البلاط الملكى فى إطار فضى جميل باهت اللون وأخرى لضابطين بحريين، وغيرها لأطفال عراة وقد رقدوا على صدورهم فوق وسائد من الحرير. وجلست مسز أوليفر على مقعد تاركة الأريكة

للمرأة العجوز التى وضعت وسادة خلف ظهرها.

- أنها لمفاجأة سارة أن أراك فجأة هكذا يا عزيزتى أريان.. هل مازلت تكتبين قصصا جميلة.

أجابت الكاتبة وهى تتساءل إذا كانت روايات المغامرات البغيضة والجرائم البشعة قصصا جميلة:

- نعم.

وقالت مسز ماتشام:

- اننى أعيش الآن وحدى تماما. لعلك تتذكرين أختى جراسيا؟ انها ماتت فى الخريف الماضى بالسرطان. وقد أجروا لها عملية ولكن الداء كان قد استفحل.

- أوه يا الهى!.. اننى آسفة.

وتشعب الحديث بينهما لمدة عشر دقائق وتناولا فى حديثهما الفقيدة جراسيا وأقارب مسز ماتشام الباقين.

وقالت المرأة:

- وأنت؟.. كيف حالك؟.. على ما يرام؟.. ألك زوج الآن؟

وأسرعت تقول وقد تذكرت:

- يا الهى!.. أرجو أن تعذرينى يا عزيزتى اريان. أننى أتذكر الآن أنه مات منذ سنوات عديدة. ولكن ما الذى جاء بك هنا اليوم؟

قالت مسز أوليفر كاذبة:

– كنت أمر بالقرب من هنا صدفة، ولما كنت أعرف عنوانك فقد خطر لى أن أمر بك وأستقى أنباءك.

– نعم، ونستعيد ذكريات الماضى قليلا. ما أجمل أن نستعيد الذكريات القديمة!

قالت الكاتبة وقد سرها أن الحديث اتجه هذا الاتجاه:

– ما أكثر هذه الصور الفوتوغرافية!

– نعم. أنك تعرفين أننى قضيت فى سانسيت هاوس أكثر من سنة. وهو بيت مخصص لإقامة الأشخاص المسنين ومريح ولكنهم كانوا يمنعوننا من الاحتفاظ بحاجاتنا الخاصة فلم أبق به. فاننى أحب أن تكون الأشياء التى أتمسك بها موجودة حولى.. وأعنى بها مفروشاتى وصورى. هل ترين هذه المنضدة الفضية الصغيرة؟.. أرسلها لى أحد أولادى القدامى.. الكابتن ويلسون، من سنغافورة.. وهذه الأوانى النحاسية، أليست جميلة؟.. وهذه المنفضة المصرية أرسلها لى أحد علماء الآثار، وكان قد اكتشفها بنفسه.

– اننى أعرف جيدا أنك تحبين تذكر كل هذه الذكريات.

– نعم. أبنائى وبناتى. وبعضهم كانوا حديثى الولادة وبعضهم كان قد كبر. فى هذه الصورة ترين مس مويا فى ثياب البلاط. أوه، ما كان أجملها! ولكنها لسوء الحظ طلقت مرتين. تزوجت أحد النبلاء أول مرة ولم تستطع التفاهم معه. ثم تزوجت بأحد المطربين الشعبيين. وقد فشل هذا الزواج هو الآخر طبعا. وتزوجت للمرة الثالثة فى كاليفورنيا وكان زوجها يملك يختا كانا ينتقلان فيه كثيرا وقد مات منذ سنتين أو

ثلاث سنوات وهى فى الثانية والستين من عمرها فقط وأنه لأمر مؤسف أن يموت الإنسان فى مثل هذه السن الصغيرة!

– أنت أيضا تنقلت كثيراً بين مختلف البلاد، أليس كذلك؟ سافرت إلى الهند وهونج كونج ومصر وأمريكا إذا لم أخطئ.

– هذا صحيح. اننى تنقلت كثيرا فى مختلف بقاع الأرض.

– أتذكر أننى عندما كنت فى الهند كنت أنت تعملين عند جنرال.. أظن أنه الجنرال رافنسكروفت؟

– كلا، كلا. انك مخطئة فى هذه النقطة. كنت فى ذلك الوقت أعمل عند آل بارنابى. وأتيت أنت لقضاء بضعة أيام معهم.

– هذا صحيح.. أنك على حق.

– وكانا لهما طفلان ظريفان، وقد أتم الشاب دراسته فى هارو والفتاة فى روادان. والتحقت بعد ذلك لدى أسرة أخرى. آه. شد ما تغيرت الأمور! لا توجد فى أيامنا هذه مربيات كما كان فى الماضى. لاحظى أن الخادمات الهنديات متعبات دائما ولكننى كنت متفاهمة تماما مع خادمة آل بارنابى. اننى أتذكر كذلك آل رافنسكروفت الذين تحدثت الآن عنهم. غير أنى لا أعرف أين كانا يقيمان بالضبط. ليس بعيدا عن فيللا آل بارنابى على كل حال. وكانت تربطهم بهؤلاء الاخيرين روابط الصداقة. وبعد سفر الولدين الى انجلترا بقيت بعضا من الوقت للعناية بمسز بارنابى. وفى نحو هذا الوقت وقعت تلك الحادثة المحزنة، ليس فى بيت بارنابى ولكن فى بيت آل رافنسكروفت بالذات، ولن أنسى هذه الحادثة أبدا. ولم تكن تعنيننى فى شئ ولكنها

كانت حادثة مؤسفة على كل حال، فان الجنرال رافنسكروفت وزوجته كانا ظريفين وكانت تلك الحادثة صدمة كبيرة لهما.

– لا ريب فى هذا. ولكننى أعترف بأننى نسيت هذه الحادثة.

– طبعا، فلا يستطيع المرء أن يتذكر كل شئ. قيل أنها كانت تبدو دائما غريبة الأطوار وذلك منذ حداثتها. ثم أنه كانت قد وقعت لها قصة أخرى قبل ذلك، فقد أخذت طفلا صغيرا من عربته وألقته فى البحيرة، ويبدو أنها فعلت ذلك بدافع الغيرة وقد أكد البعض أنها أرادت أن يذهب الطفل الى السماء مباشرة وبدون انتظار.

– هل.. هل تتكلمين عن.. عن الليدى رافنسكروفت؟

– يا الهى!.. كلا. أرى أن ذاكرتك ليست قوية مثلى. إنما أتكلم عن أختها.

– أخت موللى؟

– لا أدرى هل كانت أختها هى أو أخت زوجها. قيل أنها أقامت مدة طويلة فى إحدى المستشفيات، منذ أن كانت فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها. ثم أعلنت المستشفى أنها شفيت وصرحت لها بالخروج. وتزوجت برجل عسكرى وبعد ذلك بقليل عادت المشاكل وأدخلت إلى المستشفى من جديد حيث راح الجنرال وزوجته يذهبان لزيارتها بانتظام. وغادرت المستشفى أخيرا وعادت للإقامة مع زوجها، ولكن هذا الأخير لم يلبث أن مات بعد ذلك بالسكتة القلبية. وانتقلت عندئذ للإقامة عند الجنرال رافنسكروفت وزوجته. وكانت تبدو سعيدة ومتفاهمة مع الطفلين ولكن.. ذات يوم، وكان ذلك بعد الظهر. وكان

الولد الصغير فى المدرسة وكانت أخته تلعب بجوار الفيللا مع صديقة جاءت لتراها، وأعترف بأننى لا أذكر التفاصيل جيدا بعد كل هذه السنوات ولا أدرى ما الذى حدث تماما. أرادت المرأة أن تأخذ البنتين بعيدا عن الفيللا مدعية بأنهما ليستا فى أمان وأشياء أخرى من هذا القبيل. وقد أراد البعض أن يحملوا الناس على الاعتقاد بأن الخادمة هى المسئولة ولكن الآخرين لم يصدقوا شيئا من ذلك، وقد اعتقدت أنا دائما أن المرأة الشابة هى المذنبة.

– وماذا جرى لها بعد ذلك؟

– أظن أنها أعيدت إلى انجلترا وأدخلت نفس المستشفى أو مستشفى آخر.. ولعلها بعد ذلك. لا أدرى. لم أفكر فى هذه الأمور منذ سنوات ولولا حديثك الآن عن الجنرال رافنسكروفت وزوجته لما تذكرت شيئا. اننى أتساءل ماذا جرى لها؟

– ألم تقرئى ذلك فى الجرائد؟

– اقرأ ماذا؟

– حسنا.. أنهما اشتريا فيللا فى اقليم كنت و...

– أوه، اننى أتذكر الان.. ألم يقعا من أعلى الشاطئ الصخرى.. أو من مكان آخر؟

أجابت مسز أوليفر فى رقة:

– نعم.. وقعا من أعلى الشاطئ الصخرى.

– والان يا عزيزتى دعينى أعد لك فنجانا من الشاى.

- أوه، كلا يا مسز ماتشام. لا أريد إزعاجك. ولست بحاجة إلى الشاى إطلاقا.

- هذا خطأ يا ابنتى. إننا بحاجة إلى فنجان من الشاى دائما.. هل يسوؤك أن تأتى إلى المطبخ. أننى أقضى هناك الجزء الأكبر من وقتى الآن، ولكننى أستقبل زوارى فى الصالون الصغير طبعا، لأننى فخورة بكل هذه الذكريات التى جمعتها.

- لا ريب لأنك قضيت حياة عجيبة مع كل هؤلاء الأطفال الذين اهتممت بهم وربيتهم تقريبا.

- نعم، هذا صحيح. اننى أتذكر بكل تأثر ذلك الوقت الذى كنت ما تزالين فيه طفلة صغيرة وتصغين فى شوق وافتتان الى القصص التى كنت أرويها لك. كانت بينها قصة تدور حول نمر وأخرى كنت تحبينها على وجه الخصوص وتدور حول قرود تتسلق الأشجار.

- اننى مازلت أذكرها أنا أيضا. ما أبعد كل هذا.

طار ذهن مسز أوليفر إلى السنين البعيدة لطفولتها ورأت نفسها وهى فى الخامسة أو السادسة وهى ترهف السمع إلى كلمات مربيتها والقصص العجيبة التى تسردها عليها. ولم تكن هذه المربية غير مسز ماتشام.

ومضت الى المطبخ خلف مضيفتها وهى تدور ببصرها فى أرجاء الغرفة الصغيرة المزدحمة بالذكريات، وتأملت فى شئ من الحنين الصور الذابلة للفتيات والفتية فى أجمل ثيابهم وجففت فى خلسة الدموع التى ترقرقت فى عينيها.

وإذ دخلت المطبخ قدمت للمرأة المسنة الهدية التى أحضرتها لها. وصاحت مسز ماتشام وهى تفك الربطة بيدين مرتعشتين:

- أوه، يا الهى. صندوق كبير من الشاى الذى أفضله. أنك مازلت تتذكرين ميولى. لم تعد لى القدرة لكى أشترى من هذا النوع من الشاى الآن، وصندوق من بسكويتى المفضل أيضا؟ آه. أرى أنك لا تنسين شيئا. هل تذكرين هذين الطفلين الذين كانا يأتيان لمشاركتك اللعب. كان أحدهما يدعوك (الليدى سوان) أى الاوزة الجميلة والاخر (الليدى اليفانت) وكنت تأخذين هذا الاخير فوق ظهرك وتدورين به فى الغرفة وأنت على أربع متظاهرة بأن لك خرطوما لكى تجمعى به الاشياء.

- أنت أيضا يا داده لم تنسى أشياء كثيرة.

- أوه. لا ريب أنك تعرفين الحكمة المأثورة يا ابنتى (أن الأفيال لا تنسى أبدا).



مـــارلــين

دخلت مسز أوليفر صيدلية ويليام وبارنيت، وهى صيدلية كبيرة تبيع إلى جـــانب الأدوية مـــخــتلف أنواع أدوات التجميل.

ووقفت لحظة أمام فترينة تضم أدوية مختلفة لعلاج مسمار القدم وترددت لحظة أمام جبل من الإسفنج المعقم ثم وقفت أخيراً أمام فتاة فى نحو الخامسة والعشرين بدينة الجسم نوعا ما لكى تسألها عن أحمر الشفاه ولكنها لم تلبث أن أطلقت صيحة تدل على الدهشة وقالت:

- وي! من أرى؟ مارلين!

- من؟ أوه مسز أوليفر؟ يسرنى أن أراك.

هذا عظيم ستتبهر الفتيات الأخريات عندما أقول لهن أنك أتيت عندنا.

- لا داعى لأن تقولى لهن ذلك.

- أوه، اننى واثقة أنهن لو رأينك فسيهجمن عليك وهن يلوحن

بدفاترهن لكى توقعى لهن عليها.

– أرجو ألا يحدث هذا. كيف حالك يا مارلين؟

– لا بأس.. لا بأس.. شكرا لك.

– لم أكن أعلم أنك مازلت تشتغلين هنا.

– الحق أن هذا المحل كغيرة وأصحابه يحسنون معاملتنا، وقد حصلت فى السنة الماضية على علاوة وأصبحت مسئولة عن هذا القسم كله وهذا أمر مثير للاهتمام.

– وأمك؟.. أهى فى حالة جيدة؟

– جدا، وأشكرك. سيسرها أن تعلم أننى التقيت بك.

– هل مازلت تقيمين فى نفس المكان؟

– نعم.

– إذا كانت فى البيت فى هذه الآونة فربما أستطيع أن أتوقف عندها بضع لحظات قبل أن أذهب إلى عملى.

– أوه، نعم. هذه فكرة جميلة ويؤسفنى اننى لا أستطيع أن أغادر المحل لمرافقتك فما زالت هناك ساعة على موعد الانصراف.

– سيكون لك هذا فى مرة أخرى.

وانصرفت مسز أوليفر بعد أن اشترت إصبعا من أحمر الشفاه لم تكن بحاجة إليه، واستقلت عربتها وانطلقت فى الطريق الرئيسى ومرت أمام مستشفى وانعطفت إلى شارع ضيق تحوطه فيللات صغيرة. وجاءت امرأة نحيلة ذات شعر أشيب ولكنها لا تزال نشيطة

وفتحت الباب وصاحت:

- مسز أوليفر!.. اننى لم أرك منذ سنوات. تفضلى. تفضلى.. هل أستطيع أن أقدم لك فنجانا من الشاى؟

- أشكرك. ولكننى تناولت فنجانا الآن مع صديقة لى ويجب أن أعود الى لندن بدون تأخير، وبهذه المناسبة مررت بالأجزخانة لكى أشترى شيئا فرأيت مارلين.

- أنها تشغل وظيفة طيبة وينظرون اليها بعين الاعتبار ويقولون أنها نشيطة وذكية وكفء جدا.

- هذا حسن. وكيف حالك أنت يا مسز باكل؟ يبدو أنك فى صحة جيدة. لم يظهر عليك الكبر، خصوصا منذ أن التقينا آخر مرة.

- أوه، لم أحاول الادعاء بهذا، فقد ابيض شعرى وأصابنى الهزال.

- اننى التقيت اليوم بصديقات كثيرات، ويحدث هذا فى بعض الأحيان.

تبعت مسز أوليفر مسز باكل الى صالون صغير مزدحم بالمفروشات والأشياء المختلفة وسألتها:

- هل تتذكرين مسز كارستيرز؟... جوليا كارستيرز؟

- طبعا. لا ريب أنها كبرت.

- هذا صحيح. ولكننا استعدنا ذكريات الأيام الجميلة الماضية، وتحدثنا عن المأساة التى وقعت عندما كنت فى أمريكا، هل تتذكرين؟... مأساة آل رافنسكروفت؟

- نعم. اننى أذكرها جيدا.

– أظن أنك اشتغلت لديهم فى وقت من الأوقات؟

– هو ذلك. كنت أذهب إليهم ثلاث مرات فى الأسبوع. كان الجنرال وزوجته زوجين ظريفين. كانت الزوجة سيدة حقيقية بمعنى الكلمة أما هو فكان ضابطا من المدرسة القديمة. نعم. كانا ظريفين حقا.

– هل كنت تشتغلين لديهما عندما وقعت المأساة.

– كلا. كنت قد تركت العمل عندهما لان عمتى أديث قدمت للإقامة معنا... وكانت قد تقدمت بها السن وساءت صحتها بحيث ضعف بصرها جدا، وأصبح على أن أستمر فى العمل فى الخارج واضطررت أن أنقطع عن الذهاب الى الليدى رافنسكروفت قبل أن تقع المأساة بشهر أو شهرين.

– يا له من أمر فظيع. أظن أننى فهمت أنهما انتحرا معا..

– ولكننى لا أظن ذلك. والواقع أننى مقتنعة بأنهما ما كانا ليقدما على مثل هذا العمل لانهما كانا متفاهمين تماما.

– أظن أنهما كانا يقطنان بورنموث قبل أن يأتيا للإقامة فى منطقتك.

– نعم. ولكنهما لم يلبثا أن رأيا أنهما بعيدين جدا عن لندن ففضلا المجئ والإقامة هنا، واشتريا فيللا جميلة فى وسط حديقة بديعة.

– أكانا فى صحة جيدة فى ذلك الوقت الذى كنت تذهبين فيه اليهما.

– كان الجنرال يخطو نحو الستين، وكانت قد وقعت له أزمة قلبية واضطر أن يتناول أقراصا بصفة منتظمة وأن يتجنب كل تعب وإجهاد ولكن حياته لم تكن فى خطر.

– والليدى رافنسكروفت؟

– الحق أننى أعتقد أنها كانت تفتقد حياتها فى الخارج لانهما كانا لا يخالطان أناسا كثيرين هنا. لقد تعرفا بعدد من الأسرات التى من طبقتهما ولكن الأمور مع ذلك لم تكن كما كانت عندما كانا فى الهند حيث كان لديهما خدم كثيرون ويقيمان حفلات كثيرة.

– وهل تحسبين أن الليدى رافنسكروفت كانت تفتقد تلك الحفلات؟

– كان هذا احساسى الخاص على كل حال.

– لا أدرى من الذى أكد لى أنها اعتادت على لبس البروكة.

أجابت مسز باكلى وهى تبتسم ابتسامة خفيفة:

– أوه. بل كان لديها عدة باروكات. وكلها كانت جميلة جدا وغالية الثمن. كانت تبعث بكل منها إلى لندن من وقت لأخر للتنظيف، وكانت كلها مختلفة بعضها عن الأخر فقد كانت هناك واحدة ذات انعكاسات نحاسية وواحدة لها خصلات رمادية كانت تليق عليها جدا. ثم اثنتان أخريان عمليتان للأيام التى يتغير فيها الجو. كانت تهتم كثيرا بمظهرها الطبيعى كما تعلمين. وكانت تنفق مبالغ خيالية على زينتها.

– ما رأيك فى سبب هذه المأساة... لم أكن فى انجلترا فى ذلك الوقت ولم أسمع أبدا عن هذه المسألة وعندما عدت لم أجرؤ على إلقاء أسئلة كثيرة. ولكن يجب أن يكون هناك سبب طبعا. خاصة واننى فهمت أن المسدس كان ملكا للجنرال.

– نعم. كان لديه مسدسان. وكان يقول أن المرء لا يمكن أن يكون فى أمان فى بيته اذا لم يملك سلاحا. ولعله كان على حق على الرغم

من أنهما لم يصادفا فى حياتهما أية متاعب، بقدر ما أعلم على الأقل. ومع ذلك فقد أقبل رجل غريب ذات يوم... رجل لم يرق لى أبدا وأراد أن يرى الجنرال بكافة الطرق قائلا أنه كان يعمل فى فرقته عندما كان شابا، وقد ألقى عليه سير اليستير بعض الأسئلة ولا ريب أنه أدرك أنه لا يمكن أن يثق فيه لأنه طرده على الفور.

– لديك إحساس إذن بأن رجلا غريبا ارتكب الجريمة؟

– لا أرى كيف يمكن أن يكون الامر غير ذلك. ومع ذلك فيجب أن أقول أن البستانى، الذى كان يأتى كل يوم كان لا يروق لى كثيرا هو الاخر. ثم أنه لم يكن حسن السمعة، وقد سمعت أنه قضى فى السجن مددا مختلفة.

– وهذا يحملك على الظن بأنه ربما يكون هو القاتل؟

– أعترف بأنه طالما خطرت لى هذه الفكرة، ولكن لا ريب أننى مخطئة، فقد قيل أنه كانت هناك فضيحة بلا شك. ولكن كل هذا لا يعدو أن يكون حمقا، ومن المؤكد أن رجلا غريبا هو الذى ارتكب الجريمة، فيكفى أن تقرئى الصحف كل يوم لكى تكونى على بينة، فان شباب اليوم ما أن يشبوا عن الطوق حتى يحشوا أنفسهم بالمخدرات ويطلقوا الرصاص على المواطنين الشرفاء بدون أى دافع. ومنهم من يدعون فتاة لكى تشاركهم الشراب فى أحد البارات ثم تكتشف جثتها فى صباح اليوم التالى فى أحد الخنادق. وآخرون يخطفون الأطفال الحديثى الولادة من عرباتهم. إن المرء يحس أحيانا بأن أى شخص يمكن أن يقدم على أى شئ. ولم يكن العنف قد بلغ هذا الحد الذى نتكلم عنه طبعا فى الوقت الذى وقعت فيه هذه المأساة. ولكن هذا لا

يمنع من أن سير اليستير والليدى رافنسكروفت أصيبا بطلقة نارية فى رأسيهما وهما يقومان بنزهتهما العادية.

– هل كانت الإصابة فى الرأس؟

– الحق أننى لا أستطيع أن أؤكد لك ذلك. ولكننى على يقين من أنهما ماتا معا على الفور.

– هل كانا على وفاق تام؟

– أوه، كانت هناك بعض الخلافات والمشاحنات فى بعض الأوقات كما يحدث فى كل البيوت، ولكن لم يكن هناك شئ خطير.

– ألم تكن له عشيقة؟... وهى؟... ألم يكن لها عشيق؟

– أعرف أنهم تهامسوا ببعض الأشياء، ولكنها لم تخرج عن أنها إشاعات. ولم يكن هناك أى شئ من ذلك. أنك تعرفين كيف يروق الناس اختلاق القصص التى من هذا النوع.

– لعل أحدهما... كان مريضا.

– كان الليدى رافنسكروفت قد ذهب الى لندن مرتين أو ثلاثا لاستشارة الطبيب، وأظن أنها كانت تنوى أن تدخل المستشفى لإجراء عملية جراحية، ولكننى لم أعرف أبدا ما نوع هذه العملية، والواقع أنها قضت فترة معينة فى المستشفى ولكنها شفيت من غير أن تحتاج إلى إجراء أية عملية... بل أنها بدت أصغر سنا عندما عادت ولعلها أجرت أيضا علاجا لوجهها. وكانت تبدو بباروكتها ذات الخصلات رائعة فتانة.

- وسير اليستير؟

- كان جنتلمانا حقيقيا. لم أسمع أبدا أية فضيحة ولو صغيرة بخصوصه. ولكن ليس هناك أى شك فى أنه عندما تقع مأساة ما فان الناس تروج الإشاعات وتختلق أغرب القصص، وقد قيل فى ذلك الوقت أنه وقعت له حادثة أصيب فيه بارتجاج فى المخ وهو فى الهند. وكان لى عم فيما سبق كان قد وقع من فوق جواده وأصبح بعد ذلك غريب الأطوار. ومضت ستة شهور على ذلك لم يلحظ أحد فيها أى شئ، ثم اضطروا ذات يوم إلى عزله فى ملجأ لأنه أراد أن يقتل زوجته. وقد اتهمها بأنها تضطهده وأنها جاسوسة عميلة لحساب دولة أجنبية كبيرة، ولا ندرى أبدا ماذا يمكن أن يدور بين الأسرات.

- لا أظنك تحسبين على كل حال أن هناك ذرة من الحقيقة فى القصص التى سمعتها فى هذا الموضوع وخاصة فى الشجار الذى قد تسبب فى أن يقتل أحدهما الاخر ثم ينتحر بعد ذلك.

- كلا. لا أحسب هذا حقا.

- هل كان الولدان موجودين بالبيت عندما وقعت المأساة؟

- كلا. كانت مس سليا فى سويسرا، وكان هذا لحسن حظها فان الصدمة كانت كفيلة بأن تكون أشد وقعا لو أنها كانت موجودة فى انجلترا.

- كان هناك ولد كذلك؟

- نعم. ادوارد. كان سير اليستير شديد الجزع عليه لان الصبى، لسبب غير معروف كان يبدو أنه يكره أباه.

- لا أظن أن هذا بالأمر الخطير جدا لان مثل هذه الأشياء كثيرة الوقوع فى بعض الأوقات عند الأولاد. هل كان شديد التعلق بأمه.

- من رأيى أنها كانت تشمله برعايتها أكثر من اللازم. كانت لا ترفض له أى طلب. وكان يبدو أن هذا يكدر الصبى. فان الأولاد لا يحبون كثيرا أن نحوطهم بعنايتنا وأن ننصحهم بأن يفعلوا هذا وأن يتجنبوا ذاك وأن يلبسوا ثوبا أكثر دفئا أو بلوفر إضافيا.

- ولكن الصبى لم يكن هو الأخر بالبيت عندما وقعت المأساة؟

- كلا.

- هل تأثر كثيرا؟

- لا أستطيع القول، لانني كنت قد انقطعت عن العمل لديهم منذ بعض الوقت. وعلى كل حال فلا يسعنى إلا أن أكرر ما قلته منذ لحظة. أن الشخص الذى لم يرق له هو البستانى ويدعى فريد ويزل، ولدى احساس بأنه اختلس أشياء وأن سير اليستر كان على وشك طرده.

سألتها مسز أوليفر مشدوهة:

- وهل يقتله ويقتل زوجته فى نفس الوقت لهذا السبب؟

- طبعا. إن الأمر كان يبدو مفهوما أكثر لو أنه قتل الجنرال وحده. ولكن لنفرض أن الليدى رافنسكروفت أقبلت فى هذه اللحظة بالذات وأنه اضطر أن يتخلص منها هى الأخرى. إننا نقرأ الكثير عن مثل هذه الأشياء فى الكتب.

قالت مسز أوليفر فى تفكير:

- نعم، فى الكتب.

- ثم أن هناك المسدس كذلك.

- أى مسدس؟

- كان مستر ادوارد قد وقع فريسة للمرض وتغيب عن المدرسة ستة شهور فأتاه أبوه بمدرس لازمه ما يقرب من سنة. وكانت الليدى رافنسكروفت تعجب به كثيرا لأنها كانت تحب الموسيقى وكان يحبها هو الاخر. وأظن أنه كان يدعى مستر ادموندز، وفيما يتعلق بى أنا فاننى كنت أجده متكلفا بعض الشئ. ومن رأيى أن سير اليستر لم يكن يميل إليه أبدا.

- ولكن الليدى رافنسكروفت لم تكن تشاركه رأيه هذا؟

- كانت لهما بعض الميول المشتركة، وأظن أنها هى التى اختارته وليس الجنرال. ولاحظى أنه كان على ثقافة عالية وأنه كان يحسن الحديث.

- والصبى الصغير؟

- أظن أنه كان يحبه كثيرا. لا تقيمى وزنا للشائعات التى يمكن أن تسمعينها على كل حال، فان الليدى رافنسكروفت لم تكن لها علاقة مع ذلك الشاب أبدا. ولم تكن هناك أية علاقة كذلك بين سير اليستر وتلك الفتاة التى كانت تعمل سكرتيرة له. كلا. صدقينى أن الذى ارتكب تلك الجريمة قد أقبل من الخارج. لم يستطع البوليس أن يكشف أى شئ لانه لم يتعمق فى المسألة حتى النهاية، وأظن أنه كان يجب أن يهتم بالأشخاص الذين عرفوا آل رافنسكروفت قبل عودتهما

الى انجلترا، بل ربما كان يجب أن يبحث فى بورتموث. فمن يدرى؟

سألتها مسز أوليفر:

- وما كان رأى زوجك فى هذه المسألة؟... لم يكن يعرف عنها شيئا أكثر منك طبعا، ولكن لا ريب أنه سمع كلاما عنهما.

- أوه، أنه سمع كلاما كثيرا طبعا... فى الحانات، ليلا، فان الناس يطيب لهم اختلاق كثير من الأكاذيب، بل أنهم لم يتورعوا عن الادعاء بأن الليدى رافنسكروفت كانت تشرب الخمر، وأنهم وجدوا فى البيت كثيرا من الزجاجات الفارغة. وهذه فرية طبعا. وكان هناك ابن عم كذلك، وكان يأتى من وقت لأخر لزيارتهما، وقد قيل أنه تورط مع البوليس فى وقت ما ولكننى لا أصدق شيئا من هذا. ثم أنه لم يكن موجودا عندما وقعت المأساة.

- ألم يكن هناك أحد آخر يقيم فى البيت بصفة مستمرة؟

- كانت هناك أخت الليدى رافنسكروفت، وكانت تأتى أحيانا، وأظن أنها كانت أختها غير الشقيقة.. على أكبر حال كانت تشبهها كانت أقل جمالا منها، وكانت أكبر منها بسنتين أو ثلاث سنوات. والواقع أننى أحسست دائما بأنها كانت تبذر بينهما الشقاق تقريبا فى كل مرة تأتى فيها. كانت من هؤلاء النسوة اللاتى يملن الى تعقيد الأمور وإشاعة القصص لا لشئ إلا لإزعاج الغير وتكديرهم.

- مع ذلك كانت هى والليدى رافنسكروفت على صلات جيدة؟

- لست واثقة من ذلك. لدى إحساس بأن الأخت المذكورة كانت تفرض نفسها تقريبا وأن الليدى رافنسكروفت لم تكن تبتهج بإقامتها

لديهما. لعل الجنرال كان يحبها أكثر لانها كانت تجيد لعب الورق والشطرنج. ثم أنها كانت ظريفة على طريقتها الخاصة؟

– وهل كنت أنت تحبينها؟

– إذا أردت الحقيقة فكلا. لم أكن أحبها. كنت أعتبرها أداة لإثارة الشغب والكدر، وكان لها ابن كان يأتى معها أحيانا ولم أكن أميل اليه هو الأخر، فقد كان خبيثا شديد الخبث. ولكن مهما يكن فعندما وقعت المأساة لم يكن أحد منهما قد أقبل منذ وقت طويل.

تنهدت مسز أوليفر وقالت:

– يخامرنى إحساس بأن أحدا لن يعرف حقيقة هذه المسألة أبدا، فقد مر وقت طويل عليها. وبهذه المناسبة رأيت ابنتى فى العماد منذ بضعة أيام.

– آه، صحيح؟.. وكيف حالها؟

– على ما يرام. وأعتقد أنها تنوى الزواج. وهى تخرج مع أحد الشبان على كل حال.

– أوه... أننا مررنا كلنا بهذا... ولكن الفتاة لا تتزوج عادة أول من تلتقى به. وتسع مرات من عشر يكون هذا أفضل.

– أظنك لا تعرفين مسز بيرتون كوكس؟

– بيرتون كوكس؟... كلا. لا أظن ذلك. لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

التنائج

قال جورج: كانت هناك مكالمتان لك يا سيدى، مكالمة من مسز اوليفر، و كانت تريد أن تعرف إذا كانت تستطيع أن تأتى الليلة لزيارتك بعد العشاء.

- هذا جميل يا جورج فقد قضيت يوما شاقا و يسرنى أن أراها. إنها ظريفة دائما و حديثها لا يخلو من الطرافة أبدا. هل اتفق أن تحدثت عن الأفيال؟

- الأفيال؟... كلا يا سيدى.

- إذا كان الأمر كذلك فلعل تحرياتها عن هذه الثدييات كان مخيبا للآمال.

تأمل جورج سيده فى دهشة. كانت هناك لحظات لا يفهم فيها ما يقصده المخبر المشهور بملاحظاته.

- اتصل بها وقل لها إنه يسرنى جدا أن تأتى لزيارتى الليلة.

مضى جورج وعاد بعد دقائق قلائل ليخبر سيده أن مسز اوليفر

ستأتى فى الساعة التاسعة إلا ربع.

وقال المخبر:

– اعد القهوة بمجرد حضورها يا جورج. ويجب أيضا أن تأتى ببعض الحلوى.

– وبعض الخمر بلا شك يا سيدى.

– كلا. ليس هذا ضروريا. سأتناول أنا كوبا من عصير الكرز.

– حسنا يا سيدى.

أقبلت مسز اوليفر فى الموعد المحدد واستقبلها بوارو بكل رفق وسرور قائلا:

– كيف حالك يا سيدتى العزيزة؟

أجابت السيدة وهى تتهالك فوق مقعد:

– إننى متعبة جدا.

– آه... من يذهب للصيد... لا أتذكر البقية.

قالت مسز اوليفر:

– يفقد عقله.

– إن هذا المثل لا يبدو لى على أية حال منطبقا على نوع الصيد الذى تمارسينه فى هذا الوقت، إلا إذا كنا نتكلم مجازا.

– أبدا. أنى مارست صيدا مضطربا... هنا وهناك... فى كل مكان. لو تعرف كمية البنزين التى استهلكتها والمبالغ التى دفعتها

للسكك الحديدية، وعدد الخطابات التى كتبتها لهالك الأمر، ولا يمكن أن تتصور إلى أى حد كان كل هذا مرهقا.

– إذا كان الأمر كذلك فاستجمعى إذن وتناولى فنجانا من القهوة.

– إننى محتاجة فعلا إلى فنجان من القهوة القوية.

– هل أستطيع أن أسال إذا كنت قد حصلت على نتائج.

– بل حصلت على نتائج كثيرة، و لكن الأمر الذى يزعجنى هو أننى لا اعرف هل تفيدنا فى شئ.

– و مع ذلك فأظن انك حصلت على نتائج ملموسة.

– ملموسة... فى هذا مبالغة كبيرة، إننى عرفت عددا من النقاط ذكروها لى على أنها حقائق و لكن لا يسعنى إلا أن أبدى الشك فيما يتعلق بقيمتها الجوهرية.

– مجرد إشاعات إذن؟

– بل اكثر من هذا على كل حال. جمعت أكداسا من الذكريات، وأنت تعلم حين إننا نتذكر الأحداث لا نتذكرها دائما بكل دقة.

– بالطبع. و لكننا نستطيع أن نسميها مع ذلك نتائج.

– ومن ناحيتك أنت؟... ماذا فعلت؟

– أنت قاسية يا صديقتى العزيزة. أتريدين منى وأنا فى سنى هذه أن أجرى وان آتم بعض الأعمال.

– وهل جريت؟

- أوه، كلا. إنما تبادلت بعض المحادثات مع زملاء لى.

احتجت مسز اوليفر قائلة:

- يبدو هذا اسهل مما قمت به أنا نفسى. أوه، هذه القهوة لذيذة حقا، لا يمكن أن تعرف كم أنا متعبة.

- تعب صحى، وأنا واثق من هذا، ولكن أطلعينى على ما وصلتى إليه.

- أن معى حصيلة من الإيماءات والقصص المختلفة، ولكن من العسير على أن اعرف إذا كانت حقيقية.

- ولكن قد تكون ذات فائدة إذا لم تكن حقيقية.

- أظن أننى افهم ما تعنيه، يحدث كثيرا أن يذكر الناس الأحداث لا كما جرت فعلا ولكن كما رؤها أو كما يحلو لهم أن يبرروها.

- على الرغم من كل شئ فان تبريرهم لها يكون عادة على أساس حقائق.

- معى هنا قائمة الأشخاص الذين استجوبتهم. لا داعى لان اذكر لك أين ذهبت بالتفصيل ولماذا وماذا فعلت أو ماذا قلت. ولكن يكفى أن تعرف أننى جمعت معلومات عن بعض الأشخاص الذين عرفوا آل رافنسكروفت أو سمعوا عنهم.

- وهل تأتى هذه المعلومات من الخارج؟

- عدد كبير منها. وهناك معلومات أخرى استقيتها من أشخاص لم يعرفوا الزوجين إلا بعد عودتهما من الخارج.

- وأظن أن كلا من هؤلاء الأشخاص المذكورين فى قائمتك قد ذكر لك قصة لها علاقة بالمأساة تقريبا.

- هو ذلك، تقريبا. سأقدم لك بيانا وجيزا لما عرفت.

- حسنا. ولكن خذى بعض البسكويت أولا.

- شكرا.

واخذت كعكة صغيرة راحت تقضمها فى عزم وقالت:

- كان الأشخاص الذين استجوبتهم يحسبون انهم يعرفون ما حدث، ولكن لم يكن لديهم أى سبب طبعا يجعلهم يعتقدون هذا وانما كانوا يرددون فى اكثر الأوقات ما عرفوه أو سمعوه من بعض الأصدقاء والأهالى والخدم.

مثال ذلك أن الجنرال رافنسكروفت. كان يكتب مذكراته وكان يستخدم فتاة تقوم بأعمال السكرتارية. وكان من الممكن طبعا أن تنشاء بينهما علاقة. والواقع أن طبقة معينة من الناس حسبوا انه قتل زوجته لكى يتزوج بعد ذلك تلك الفتاة، ثم لم تلبث أن أفزعته الجريمة التى ارتكبها فانتحر.

- تأويل خيالى جدا.

- وحدثنى غيرهم عن مدرس كان موجدا فى الفيلا فى ذلك الوقت، وكان يعطى دروسا للصبى الصغير الذى أرغمه المرض على أن يتغيب عن المدرسة لمدة ستة شهور. ويبدو أن هذا المدرس كان وسيما.

- آه. وتصور الناس طبعا أن ليدى رافنسكروفت وقعت فى هواه

ونشأت بينهما علاقة؟

– تماما. ولكن هنا أيضا يلعب الخيال. ثم انه ليس هناك أى دليل. وحدثنى البعض أيضا عن بستانى غير ظريف وطاهية صماء ضعيفة البصر. وقيل لى كذلك أن الليدى رافنسكروفت كانت مريضة بعض الوقت وأظن أنها فقدت بعض شعرها لأنها اشترت أربع باروكات.

– أنا أيضا سمعت عن هذه الباروكات.

– من الذى أخبرك بها؟

– أحد أصدقائى من رجال البوليس. عرض على نتيجة التحقيق. ولكن ألا ترين أن أربع باروكات شئ كثير. ما رأيك فى هذا؟

فكرت مسز اوليفر فى صمت لحظة ثم قالت:

– كان لى عمة كانت تلبس باروكة. وكان لديها باروكة أخرى للغيار كانت تلبسها عندما تبعث بالأولى للتنظيف. ولكننى لم اسمع أبدا عن امرأة تملك أربع باروكات مرة واحدة.

أخرجت مسز اوليفر دفترها الصغير من جيبها وراحت تقلب صفحاته على عجل ثم قالت:

– مسز كارستيرز، وقد بلغت السبعين من عمرها وتخرف تقريبا... إليك بعض الملاحظات التى نقلتها عنها. أنها تتذكر آل رافنسكروفت جيدا... زوجان ظريفان ومأساة مؤلمة... سرطان من غير شك. وقد سألتها عن رأيها عمن كان منهما مصابا بالسرطان ولكنها عجزت على أن تتذكر ذلك. ثم أنها تعتقد أن الليدى رافنسكروفت ذهبت إلى لندن لاستشارة طبيب واضطرت إلى إجراء عملية جراحية وعادت بعد ذلك

إلى البيت.

وقد اضطرب زوجها اشد الاضطراب فقتلها وانتحر.

أهذه نظرية خاصة يا مسز كارستيرز. أم أنها تعرف حقائق معينة ومؤكدة.

أخشى أن تكون مجرد نظرية للأسف. فقد رأيت اكثر من مرة انه عندما يصاب شخص بمرض مفاجئ يعتقد الناس انه مصاب بالسرطان. وحتى المرضى أنفسهم يعتقدون ذلك فى اكثر الأحيان. وهناك شخص آخر لا اذكر اسمه قال أن الزوج هو الذى كان مصابا بذلك المرض وان هذا الأمر أحزنه كثيرا وتشاور هو وزوجته وقررا الانتحار.

قال بوارو:

- أمر محزن وخيالى كذلك.

- نعم، وغير معقول أيضا، ومما يهون العزم أن نرى بعض الناس يتذكرون أشياء كثيرة مع الإيعاز فى نفس الوقت بأنهم يختلقون ما يروون.

- انهم اختلقوا تفسير الحقائق فقط، فهم يعرفون مثلا أن شخص ما ذهب إلى لندن لاستشارة طبيب أو أن هذا الشخص نفسه قضى شهرين أو ثلاثة شهور فى مستشفى... هذه حقيقة يعرفونها أو سمعوا عنها..

- وعندما يتحدثون عن هذه الحقيقة بعد ذلك يقدمون لك إيضاحا زيفوها هم أنفسهم دون أن يدركوا ذلك، وهذا لا يؤدى إلى أى نتيجة،

أليس كذلك؟

– أوه، بلى. انك على حق تماما فى ذلك اليوم الذى ذكرت فيه هذا التشبيه العجيب بالأفيال. من المهم أن نعرف بعض الوقائع التى ظلت راكدة، إذا جاز لى استخدام هذه الكلمة، فى أذهان الناس دون وعى منهم ومن غير أن يدركوا أسبابها أو معناها لان من الجائز تماما أن تعرف أفيالك أشياء لا نعرفها نحن وليست لنا أية وسيلة لمعرفتها. ولهذا السبب تتحول بعض الذكريات إلى ظنون ونظريات... كالخيانة والمرض والغيرة والانتحار المزدوج الذى تم الاتفاق عليه وغيرها من التأويلات والإيضاحات. وعلينا أن نتعمق فى تحرياتنا فيما يتعلق بالنظريات التى تبدو اكثر احتمالا من غيرها.

– إن الناس يحبـون التحـدث عن الماضى ولكنهم يتناولون فى حديثهم أشخاصا كثيرين بحيث لا تعرفين ماذا تفعلين... أشخاصا يتذكرون فى غموض شيئا يتعلق بشخص ثالث لا يعرفونه وإنما سمعوا عنه لا غير بحيث أن الشخصين اللذين نهتم بهما حقا، و هما فى هذه الحالة بالذات الجنرال والليدى رافنسكروفت يبدوان لنا فى النهاية بعيدين جدا ومهتزين. صراحة لا اشعر بان تحرياتى قد جاءتنا بشئ له قيمة تذكر.

– لا تعتقدى هذا، أنا واثق انك سوف ترين أن بعض مذكراتك ستكون لها صلة ما بالواقع. وأستطيع أن أقول لك استنادا للتحريات التى قمت بها أنا والى التقارير والشهادات التى قرأتها أن أقول لك أن هاتين الميتتين بقيتا غامضتين بوجه خاص، حتى فى عين رجال البوليس وعلى الرغم من نتائج التحقيق. فقد كان سير اليستير

وزوجته زوجان متفاهمين متفقين، ولم يكتشفوا أية فضيحة بشأنهما ولا أى مرض عضال يمكن أن يكون دفعهما إلى الانتحار. إننى أتكلم طبعا فى هذه اللحظة عن الفترة التى سبقت المأساة مباشرة ولكن كانت هناك قبل ذلك الفترة الطويلة التى قضياها فى الهند.

– اعرف ذلك. وقد جمعت بعض المعلومات عن هذه الفترة بالذات، مدتنى بها دادة عجوز تبلغ من العمر الثمانين تقريبا.

– أهى معلومات هامة؟

– إلى حد ما. تحدثت عن حادثة وقعت فى الهند، ولكن كان يبدو أنها لا تعرف التفاصيل جيدا، بل إننى لست متأكدة من أن لهذه الحادثة صلة بال رافنسكروفت ومن الجائز أن تكون لها صلة لقوم بآخرين لا تتذكر أسماؤهم. فقد تحدثت عن حالة جنون أصابت شخصا ما، ويبدو أن هذه الأخت قد قضت سنوات عديدة فى إحدى المستشفيات الخاصة للأمراض العصبية، وأظن أننى فهمت أن هذه الأخت قتلت أو حاولت أن تقتل أولادها بالذات، وبعد عشر سنوات قيل أنها شفيت وذهبت للإقامة فى الهند مع أختها وزوجها. وعندئذ وقعت فاجعة أخرى لها صلة بالأولاد، وقد تكتموا المسالة ولكنى أتسءل إذا لم يكن الجنرال رافنسكروفت تعرض هو أو زوجته فى وقت من الأوقات لاضطرابات عقلية. يبدو لى أن من الجائز أن نتحرى هذا الأمر.

– نعم، أن الاضطرابات التى من هذا النوع تظهر أعراضها أحيانا بعد سنوات كثيرة.

– وأظن أن هذه الدادة قد خلطت فى الوقائع أو فى الأشخاص المعنيين. ولكن قد ينطبق هذا على كل حال على ما ذكرته لى مسز بيرتون كوكس أثناء تلك المأدبة المشهورة.

– وكانت تظن أن ابنتك فى العماد قد تكون على علم بذلك.

– الواقع أن من الممكن أن تكون سليا على علم بشئ ما. انهم اضطروا فى ذلك الوقت إلى إخفاء الحقيقة عنها، ولكن لعلها استطاعت بعد ذلك أن تعرف تفاصيل معينة عن حياة أبويها وان تفهم من منهما قتل الآخر من غير أن تكشف على كل حال أنها تعرف شيئا. غير أن مسز بيرتون كوكس تدعى أن ابنها يفكر فى الزواج بابنتى فى العماد. وأظن إننى افهم لماذا تريد أن تعرف إذا كان الزوج هو الذى قتل زوجته أو كان العكس هو الذى حدث.لا ريب أنها تظن انه إذا كانت الأم هى التى قتلت الأب فانه يكون طيشا من ابنها أن يتزوج هذه الفتاة فى حين أن العكس يكون اقل أهمية.

– أتعنين أن من رأيها أن الجنون يمكن أن ينتقل عن طريق النساء، ذلك إذا كان هناك جنون؟

– إننى كما تعلم لا اعتبرها ذكية على وجه الخصوص.

– اعترف أن النتائج التى حصلت عليها هامة ولكن مازال أمامنا أن نفعل الكثير للأسف.

– لدى معلومات أخرى كذلك ولكنها ليست على جانب كبير من الأهمية فقد قال لى بعضهم (آل رافنسكروفت)؟... أتعنين هذين الزوجين اللذين تبنيا طفلا؟ كان واحدا من أولادهما قد مات فتبنيا

هذا الولد. ولكن بعد أن تمت الإجراءات الرسمية أرادت الأم أن تسترد ابنها واضطرت إلى أن ترفع الأمر إلى القضاء. وحكمت المحكمة ببقاء الولد معهما وعندئذ حاولت الأم اختطافه.

حك بوارو رأسه الصلعاء فى تفكير وقال:

- هناك نقاط ابسط فى تقريرك أفضلها عن غيرها.

- وما هى؟

- الباروكات... أربع باروكات.

- أنا نفسى استغربت هذه النقطة. وقد تكون لها أهمية ما. ولكننى لا أرى صراحة إلى أين تؤدى بنا، فلا يبدو أن لها أية معنى، أما بخصوص تلك الحادثة التى وقعت فى الهند فقد ثبت أن المذنبة كانت مجنونة ولكننى لا أرى لماذا تدفع هذه القصة القديمة الجنرال رافنسكروفت وزوجته إلى الانتحار.

- ربما تورطا فى هذه الحادثة.

- أتعنى أن سير اليستير وزوجته ربما قتلا ولدا غير شرعى مثلا.. كلا. أظن أن مثل هذا الظن يوقعنا فى قلب الميلودراما.

قال بوارو فى وقار مصطنع:

- إن الناس فى العادة كما يتظاهرون.

- ماذا تعنى؟

- كانت لهما كل مظاهر الزوجين المتفقين، وكان يبدو لهما انهما سعيدين لا يعرفون المشاكل ولا المتاعب الصحية فيما عدا تلك العملية

التى قلت لى منذ لحظة أن الزوجة كانت تنوى إجراؤها فى وقت من الأوقات، لم يكن أى واحد منهما مهددا بمرض السرطان أو بتلوث الدم ولا أى مرض آخر خطير. لم يكن أمامهما مستقبل قاتم رأيا لسبب من الأسباب انهما عاجزين عن مواجهته، ولا نستطيع أن نتصور أى إمكانية أخرى ولا حتى أى احتمال، وإذا كان فى البيت وقت وقوع المأساة شخص آخر فان رجال البوليس الذين قاموا بالتحقيق لم يكتشفوا أى شئ يتعارض مع الحقائق، ولسبب لا نستطيع معرفته لم يشأ سير اليستير وزوجته أن يستمرا فى الحياة، فلماذا؟

– أثناء الحرب الأخيرة اقتنع أناس آخرون بان الأمر سينتهى بالألمان إلى الهبوط إلى ارض إنجلترا وقد عرفت زوجين قررا الانتحار إذا وقع هذا مدعيين انه مستحيل عليهما العيش فى مثل هذه الظروف. وهذه حماقة طبعا فيجب أن يكون الزوجان شجاعا لمواجهة الأحداث التى تقع خاصة وان أحدا لن يستفيد من موتهما وإننى لأتساءل...

– ماذا؟

– حسنا... أننى أتساءل إذا لم يكن هناك من استفادة من موت الجنرال رافنسكروفت وزوجته.

– ربما ليس هذا بالذات. ولكن لعله كانت هناك فرصة فى ان يفلح أحدهم فى الحياة بطريقة احسن لو انهما اختفيا من طريقه. ولعله كان فى حياتهما شئ أرادا أن لا يعرفه ولداهما أبدا.

– إن المزعج معك هو انك تفكرين فى أشياء كثيرة يمكن أن تقع.

انك تقدمين لى مجموعة كبيرة من الأفكار ولكن لو نستطيع الإفادة منها!... ولكن لندرس المسالة ولنر لماذا كان من الضرورى أن يموت هذان الزوجان؟.. طبقا لهذه الظواهر لم تكن لديهما أية متاعب ولا يشكوان من أى مرض. كان يبدو انهما سعيدان كل السعادة فلماذا خرجا للنزهة إذن ذات يوم على الشاطئ الصخرى ومعهما كلبهما...

– ولكن ماذا يفعل الكلب فى هذه المسالة؟

– الحق إننى أتساءل عن ذلك. هل اصطحباه معهما طواعية أم أن الكلب تبعهما من تلقاء نفسه؟ نعم ماذا يفعل؟ ما دخل الكلب فى هذه القضية؟

– لا شئ بالطبع. أن شأنه كشأن الباروكات. مجرد نقطة لا تفسير لها ولا معنى. قال لى أحد أفيالى أن الكلب المذكور كان شديد التعلق بالليدى رافنسكروفت. ولكن فيلا آخر أكد لى انه عضها.

– أننا نعود دائما إلى نفس النقطة. يجب أن نعرف المزيد. ولكن ما العمل بعد مرور كل هذه السنوات؟

– ومع ذلك فانه يبدو لى انك استطعت أن تجلو سر قضية مماثلة. وأتذكر على الخصوص موت فنان.. رسام قتل على شاطئ البحر واكتشفت المجرم دون أن تعرف القوم الذين كانوا يعيشون معه.

– صحيح أننى لم اكن اعرف أحدا منهم. ولكننى عرفت أشياء كثيرة من أشخاص كثيرين..

– حسنا. هذا ما أحاول أن أقوم به. ولكننى حتى الآن لم أستطع أن اعثر على شخص يستطيع أن يخبرنى بشئ له قيمة. ليس هناك من

رأى الأحداث عن كثب. هل ترى انه يجب أن ننفض أيدينا؟

– لا أظن أن هذا من الحكمة فى شئ. ولكن تأتى لحظة للأسف لا نتمنى فيها أن نستمع إلى نصائح العقل فى نفس اللحظة التى نريد أن نعرف فيها المزيد. اعترف بأننى أصبحت اهتم الآن بهذين الزوجين وهذين الطفلين.. وبهذه المناسبة كيف حال هذين الآخرين؟

– لا أظن أننى التقيت بالولد أبدا،ولكن إذا أردت أن تتعرف بابنتى فى العماد فإننى أستطيع أن ابعث بها إليك.

– احب أن أراها. ولكن ربما لا تحب هى المجئ هنا. وإذا صح ذلك فيمكننا أن ندبر لقائكما كما لو كان الأمر قد جاء عرضا. نعم. لعل هذا اللقاء يكون مهما. ثم هناك شخص آخر احب أن أراه كذلك.

– ومن هو؟

– صديقتك مسز بيرتون كوكس.

– انها ليست صديقتى أبدا. أننى لم أراها غير مرة واحدة أثناء تلك المأدبة التى حدثتك عنها.

– ولكننى أظن انك تستطيعين أن تلتقى بها من جديد؟

– بكل سهولة. ما على إلا أن ارفع إصبعى الصغير حتى أراها تهرع إلى.

– يهمنى أن اعرف لماذا ألقت عليك هذا السؤال.

– نعم. أظن أن الرد على هذا السؤال قد يكون مفيدا، ثم يسرنى أن استريح قليلا. يبدو لى انه قد جاء دورك الآن فى اكتشاف أفيال أخرى.

الخطاب الغريب

بعد يومين من هذا الحديث كان هريكول بوارو يحتسى فنجانه الصباحى من الشيكولاته وهو يقرأ للمرة الثانية رسالة وجدها بين بريد اليوم.

(عزيزى مستربوارو

أخشى أن تستغرب خطابى هذا، و لهذا أرى من الطبيعى أن استشهد بإحدى صديقاتك وهى مسز اريان اوليفر الكاتبة المعروفة. وقد حاولت أن اتصل بها لكى تدبر لى لقاء معك لكننى لم أجدها فى بيتها فى الوقت الحالى. وقد حملتنى سكرتيرتها على الاعتقاد بأنها ذهبت للصيد فى مكان ما من أفريقيا، وإذا صح هذا فإنها ستتغيب مدة طويلة. وعلى ذلك فإننى واثق أنها ما كانت لتحجم عن مساعدتى. وأود لو أن أستطيع مقابلتك لأننى بحاجة ماسة للنصح والمشورة.

وقد علمت ان مسز اوليفر التقت بأمى فى إحدى المآدب الأدبية، وإذا سمحت لى ورضيت أن أزورك فى الوقت الذى يناسبك فإننى

أكون ممتنا لك لأنك تسدى إلى خدمة كبيرة ولا أدرى إذا كان لهذا أهمية ما ولكن سكرتيرة مسز اوليفر ذكرت كلمة (افيال) وأظن أن لها صلة برحلتها إلى أفريقيا وان كانت السكرتيرة قد نطقت بهذه الكلمة كما لو كانت (كلمة سر) ولا افهم شيئا عما تقصده بهذه الكلمة ولكن لا ريب انك تعرف ما تعنيه. إننى شديد القلق والجزع واكون شاكرا لك إذا استطعت مقابلتى.

وأرجوك يا عزيزى مستر بوارو أن تتقبل عاطر تحياتى.

دسموند بيرتون كوكس.

صاح المخبر: عجيب!

- معذرة يا سيدى.

- لا شئ يا جورج. إنما هو تعجب بسيط فعندما تجتاح حياتك أمور معينة فان من العسير أحيانا أن تتخلص منها، وفيما يتعلق بى أنا فيبدو إنها مسالة أفيال.

واستدعى سكرتيرته الأمينة مس ليمون وأعطاها خطاب ديسموند بيرتون كوكس وهو يطلب منها ان ترد على الشاب وقال:

- إننى لست مشغولا جدا فى الوقت الحاضر ويمكنك أن تحددى له موعدا فى الغد.

- هل الأمر يتعلق بحديقة الحيوانات؟

- كلا بكل تأكيد. لا داعى لان تتكلمى عن الأفيال فى خطابك على كل حال.

قال جورج وهو يتقدم الزائر:

– مستر ديسموند بيرتون كوكس.

وكان بوارو قد نهض واقفا واعتمد بظهره على برقع الموقد فى هيئة وقورة. لزم الصمت بضع لحظات ثم تقدم إلى الأمام. وكان قد كون لنفسه رأيا عن الشاب الذى يقف أمامه. كان شابا نشيطا، ولكنه كان يبدو مع ذلك عصبيا بعض الشئ ويبذل مجهودا ظاهرا لإخفاء اضطرابه.

وقال وهو يمد يده:

– مستر هريكول بوارو؟

– نعم تفضل بالجلوس يا مستر ديسموند بيرتون كوكس واذكر لى الأسباب التى حدتك إلى طلب مقابلتى.

– أخشى أن أكون قد أتيتك فى أمر شديد الحساسية.

– إن الحياة حافلة بأمور شديدة الحساسية. ويمكنك أن تتكلم دون أن تخشى شيئا. إننى مصغ إليك.

تأمل ديسموند فى شئ من الدهشة والقلق الرجل العجيب الذى يقف أمامه، فأومأ المخبر السرى، برأسه الشبيه بالبيضة وشاربه الضخم بدا مضحكا وغريبا فى نفس الوقت وكبير الاختلاف عن الرجل الذى كان يتوقع أن يراه.

– أنت.. أنت مخبر سرى، أليس كذلك؟.. أظن انهم يأتونك ويطلبون منك.. اكتشاف أشياء معينة.

– هذه مهنتى فى الواقع.

– لا أظنك تعرف لماذا أتيتك؟

– إننى على علم ببعض الأمور مع ذلك.

– هل حدثتك مسز اوليفر عنى؟

– قالت لى بوجه خاص أنها تبادلت حديثا مع ابنتها فى العماد، مس سليا رافنسكروفت.

– نعم. إن سليا ذكرت لى ذلك... ولكن مسز اوليفر.. هل تعرف أمى؟.. أعنى هل تعرفها معرفة وثيقة؟

– طبقا لما فهمت فهى لم تلتق بها إلا مرة واحدة فى مأدبة أدبية أقيمت حديثا ولم يدر بينهما غير حديث قصير، وأظن أن والدتك طلبت من مس اوليفر طلبا خاصا.

قطب الشاب جبينيه وقال فى استياء خفيف:

– لم يكن لها أبدا أن تهتم بهذا الأمر.

– إننى أفهمك ولكن ماذا تريد؟.. أن كثيرا من الأمهات يعتدن إنهن يجب أن يفعلن شيئا يتمنى أولادهن أن تجنبهن إياه، هل أنا مخطئ؟

– كلا. ولكن أمى تتدخل فى أمور كثيرة لا تعنيها أبدا.

– إذا لم أخطئ فانه تربطك بسليا رافنسكروفت صلات طيبة. وقد اعتقدت مسز اوليفر أن هناك مسألة زواج.

– هذا صحيح. ولكن أمى لم تكن بها حاجة إلى أن تذهب وتلقى أسئلة محرجة عن أحداث ماضية لا تعنيها.

أجاب بوارو وهو يبتسم ابتسامة خفيفة:

- إن الأمهات غالبا كذلك. ولا ريب انك شديد التعلق بأمك.

- لن أحاول الادعاء بهذا.. كلا طبعا.. ومن الأوفق أن أخبرك بذلك فورا.. إنها ليست أمى الحقيقية.

- أوه، لم اكن اعرف هذا.

- مات ابنها الصغير فتبنتنى وربتنى كما لو كنت ابنها، وهى تتكلم عنى دائما كما لو كنت ابنها حقا ولكننى لست كذلك. ثم أن كلا منا لا يشبه الآخر ولا يرى الأمور بنفس الطريقة.

- هذا واضح.

- ومع ذلك فإننى لم أتعرض بعد للموضوع الذى أتيتك من اجله.

- أظن انك تتمنى أن أتحرى عن أحداث معينة تقلقك.

- هو ذلك تقريبا.. لا أدرى ماذا تعرف بالضبط..

- أشياء قليلة فى الواقع.. ولكنى لا اعرف التفاصيل على كل حال. إننى اجهل كل ما له علاقة بك تقريبا. وكذلك بمس رافنسكروفت التى لم أتشرف بمقابلتها بعد.

- اعترف بأننى فكرت لحظة فى اصطحابها معى ثم بدا لى أن من الأوفق أن أتحدث معك وحدى أولا.

- انك تصرفت بحكمة. هل تشعر الآن بصعوبات خاصة دفعتك الى زيارتى.

- ليست صعوبات فى الواقع.. إن الحادث الذى يلاحقنا وقع، منذ مدة طويلة وكانت سليا طفلة. مأساة مستغلقة أو بوجه اصح ما زالت

مستغلقة، فان شخصين روعهما شئ لا نعرفه اقدما على الانتحار. ويبدو انه ليس هناك من يعرف أى شئ عن الأسباب التى تسببت فى هذه المأساة، وعلى الرغم من ذلك فان أمى تصر على إلقاء أسئلة كثيرة واستطاعت بذلك أن تضع سليا فى موقف لم تعد المسكينة تعرف فيه إن كانت تتمنى أن يتم زواجنا أم لا.

– وأنت؟.. هل مازلت تتمنى ان تتزوجها.

– طبعا. اننى مصمم على هذا كل التصميم وذلك على شرط إلا تكون قد غيرت رأيها. ولكننى اشعر بأنها قلقة وعصبية. إنها هى الأخرى تريد أن تعرف الحقيقة، وتظن، وربما على خطاء، أن أمى تعرف شيئا ما.

– إننى اشعر بعطف كبير نحوك ولدى إحساس بأنكما شابان عاقلان، وفى هذه الظروف، وإذا كنتما تتمنيان الزواج حقا فلا أرى سببا فى منعكما من ذلك. ويجب أن أقول انهم زودونى، بناء على طلبى، بعدد كبير من المعلومات بخصوص هذه المأساة المحزنة. وكما قلت لى أنت منذ لحظة فان هذه المأساة أصبحت ملك الماضى ولم يكتشف أحد سرها حتى الآن. ولا شك انك تعرف انه، فى الحياة، لا يمكن أن نهتدى أبدا إلى تفسير كل الأحداث.

أكد الشاب قائلا:

– كان انتحارا مزدوجا، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ولكن..

– تريد أن تعرف الدافع إليه، أليس كذلك؟

– نعم. إن سليا قلقة لهذا السبب وأنا الآخر تملكنى القلق. ومن

الطبيعى أننى لا أستطيع أن اعرف شيئا لأننى لم اكن فى ذلك الوقت فى مكان المأساة.

– لم تكن تعرف سليا أو أبويها عندئذ أذن؟

– أوه، بل كنت اعرفهم. وأستطيع أن أقول أننى عرفت سليا دائما بان القوم الذين كنت اذهب لقضاء أجازتى عندهم كانوا يقيمون على مقربة منهم. ومنذ ذلك الوقت كنت أنا وسليا رفيقين طيبين وكنا نتفاهم جيدا. ثم إننا افترقنا بعد ذلك وبقينا سنوات كثيرة دون أن نلتقى. وكان أهلها وأهلى يقيمون فى ماليزيا، وأظن انهم ظلوا هناك. ثم مات أبى ولا ريب أن أمى سمعت بعض الأشياء وهى فى الهند وتذكرتها الآن واعتقد أن كل ما سمعته صحيح. ولكن لا يمكن أن يكون الأمر كذلك.. لا يمكن. ولكنها تنفك تضايق سليا فى هذا الصدد واحب أن اعرف ما الذى حدث بالضبط ولماذا؟ ولكننى لا أريد قصص نساء ثرثارات وإنما أريد الحقيقة.

– من الطبيعى أن تحس بهذا الإحساس وان تحس به سليا اكثر منك. ولكن هل لكل هذا أهمية فى الواقع. إن الذى يهم الآن إنما هو الحاضر والفتاة التى تريد أن تتزوجها. ماذا يهمك من الماضى. سواء أن يكون أبواى سليا قد ماتا منتحرين أو أن يكون أحدهما قتل الآخر ثم انتحر بعد ذلك فهل لهذا أهمية اكثر مما لو كانا قتلا فى حادث سيارة.

– اعترف بان ما تقول هو معقول تماما ولكن الأمور وصلت الآن إلى حد أننى أرى من الضرورى أن تطمئن سليا لأنه حتى إذا كانت لا تنطق بكلمة فإنها شديدة القلق.

– أريد منك أن تحاول معرفة الحقيقة.. لعل القضية ليست من النوع الذى يستهويك أو يثير اهتمامك.

هز بوارو رأسه فى بطء وقال:

– ليس عندى أى اعتراض فى أن اهتم بهذه القضية بل أستطيع أن اعترف لك بأنها قد ترضى فضولى، والسؤال الذى احب أن القيه عليك الآن هو: هل من الحكمة أو من الضرورى أن نذهب فننقب فى الماضى؟

– ربما لا.. ولكن من يدرى..

وقاطعه بوارو:

– وفق ذلك، ألا تدرى مثلى أننا قد نواجه استحالة مادية بعد طول هذا الوقت.

– كلا. لا يمكننى أن اتفق معك فى هذه النقطة، بل اعتقد على العكس بأنه ليست هناك أى استحالة.

– هذا هام جدا. هل أستطيع أن اعرف السبب.

– هناك شخصان من الممكن أن يعرفا أمورا معينة. لسبب وجيه وهو انهما أقاما مدة كبيرة عند آل رافنسكروفت.

– ولماذا لا تذهب وتراهما أنت بنفسك؟

– أستطيع ذلك بكل تأكيد. ولكن هناك أسئلة سأحجم عن إلقائها، ولن تحب سليا أن تقدم على ذلك هى الأخرى، ليس لان هذين الشخصين بغيضين أو كثيرا الكلام، ولكن لان رجال البوليس

استجوبوهما فيما سبق ولم يستطيعا بلا شك أن يقدما لهم أى معونة. أوه! إننى أدرك أننى لا احسن التعبير.

– أبدا. وسليا رافنسكروفت؟ هل اتفقت معك على ذلك؟

– لم أحدثها فى هذه النقطة لأنها كانت تحب مادى وزيليا كثيرا.

قال بوارو مشدوها:

– مادى وزيليا؟

– سأحاول أن اشرح لك. عندما كانت سليا طفلة.. عندما التقيت بها لأول مرة كانت أسرة كل منا تقيم على مقربة من الأخرى. وكانت لديهم وصيفة قامت فى وقت من الأوقات بمهام المربية. وقد اختصرت سليا كلمة (مدموازيل) إلى (مادى) وانتهى الجميع إلى إطلاق هذا الاسم على الفتاة، وكانت تشاركنا لهونا فى بعض الأوقات وتبدى نحونا رقة كبيرة، وقد رأيت الآن أن بصفتك فرنسيا فإنها قد تطلعك على ما لم تشأ اطلاع الآخرين عليه.

– ومن هو الشخص الثانى الذى ذكرته؟

– نفس الشئ تقريبا، بقيت (مادى) سنتين أو ثلاثة تقريبا عند آل رافنسكروفت ثم عادت إلى فرنسا.. أو إلى سويسرا.. لا أدرى بالضبط. وحلت الأخرى محلها. وقد أطلقت عليها سليا اسم (زيليا) ونادها الجميع بهذا الاسم، كانت لا تزال شابة وجميلة وظريفة جدا. كنا نعبدها تماما وأظن أنها كانت تحبنا كثيرا هى الأخرى. وكان الجنرال معجبا بها هو الآخر، على طريقته لأنهما كانا يلعبان الورق

معا.

- والليدى رافنسكروفت؟

- أوه.. إنها كانت تحب زيليا كثيرا، ولهذا السبب بالذات عادت الفتاة إلى خدمتها بعد رحيلنا.

- عادت؟

- نعم. فعندما مرضت الليدى رافنسكروفت ودخلت المستشفى عادت زيليا لكى تعتنى بها، وأظن، بل إننى أكاد أكون واثقا من أنها كانت موجودة عندما وقعت المأساة، ولا ريب أنها تعرف ما وقع حقا.

- هل تعرف عنوانها الحالى؟

- نعم. وكذلك عنوان مادى. ولعلك تستطيع أن تذهب للقائهما. اعلم إننى اطلب منك الكثير ولكن...

وامسك الشاب فجأة وتأمله بوارو فى صمت بضع لحظات ثم تمتم أخيرا:

- نعم. لا ريب أن هذا فى مقدورك فى الواقع.



أشباح الماضى

قدم جورج كأسا من الويسكى القوى إلى القوميسير جارووای فی حين راح الأخير يتأمل بوارو، وكان جالسا أمامه فى الناحية الأخرى من المائدة. واقترب الخادم بعد ذلك من سيده ووضع أمامه كوبا به مشروب احمر ضارب إلى اللون البنفسجى.

وقال جارووای:

– ما هذا الذى تشربه؟

– عصير الكرز.

– لكل امرئ ميوله الخاصة. قال سبنس ذات مرة انك تتناول فى اغلب الأحيان التليو الساخن.

– آه، انه احسن علاج لهبوط الحمى.

قال القوميسير وهو يرفع كأسه:

– اوه، مهدئ للمرض!..

ـ حسنا.. إننى اشرب نخب الانتحار.

سأله بوارو فى هدوء:

– كان انتحارا إذن.

– وماذا تريد أن يكون غير ذلك؟ أن لك أفكارا غريبة.

وهز رأسه فى بطء وابتسم وقال المخبر السرى:

– يؤسفنى أننى أشركتك فى هذا الأمر.

ـ ولكنك تعلم أننى أشبه بهذا الطفل الذى تحدث عنه كبلنج فى رواياته. أننى أعانى من فضول لا يشبع.

– إن كبلنج كان يكتب قصصا جميلة.. كان رجلا مدهشا، وقد أكدوا لى انه كان يكفيه أن يقوم بنزهة صغيرة فى مدمرة لكى يعرف عنها اكثر مما يعرفه أى مهندس فى البحرية الملكية.

– أما أنا فلا اعرف كل شئ للأسف. وعلى هذا يجب أن ألقى أسئلة، وأظن أننى أرسلت إليك قائمة طويلة منها.

قال القوميسير:

– إن ما يثير دهشتى منك دائما هو طريقتك فى الوثوب من موضوع لأخر. تقارير الأطباء والنفسانيين.. من الذى كان يملك النقود ومن الذى ورثها ومن الذى كان يتوقع شيئا منها ولم يحصل عليه والباروكات وعناوين المتاجر التى باعتها..

- وكيف عرفت كل هذا؟ واعترف لك آن هذا قد آثار دهشتى أنا الآخر.

- كانت القضيه مستغلقة إلى حد ما ولهذا جمعت عددا كبيرا من الأقوال والشهادات ولكنها لم تفيدنا كلها باى حال من الأحوال. غير أننا احتفظنا بالتقارير على كل حال.

اوجين وروزالين.. كانا يملكان محلا للتجميل فى شارع بوند وانتقل فيما بعد إلى شارع سلون، وعندك العنوان الصحيح، ولكنه الآن محل لبيع الحيوانات الصغيرة الأليفة:

- الكلاب والقطط والببغاوات وغيرها. أما روزالن فتقيم فى شلتنهام الآن وتدير محلا باسم (صالون الأمراء) وهو اسم أظن انه يتفق مع الموضة الحديثة والأمر كان كما يقال وأنا صغير: نفس الرجل ولكن بقبعة مختلفة.

ضج بوارو ضاحكا:

- ها.ها.

- ما الذى يضحكك؟

- أشكرك الآن لأنك أعطيتنى فكرة أخرى، وأنها لطريقة غريبة تلك التى ترد بها الأفكار إلى أذهاننا أحيانا.

- من المزعج انه ترد إلى أذهاننا أفكار كثيرة.. وإذا أنت تجمع أفكارا فوق أفكار..

- ولكن، إننى تعمقت بقدر ما استطعت فى حياة تلك الأسرة بدون

نتيجة تقريبا. كان اليستيررافنسكروفت من اصل اسكتلندى.. ابن قسيس.. استبسل اثنان من أعمامه فى الجيش وتزوج هو بمرجريت بريستون جراى، وهى فتاة من أسرة طيبة مثلت أمام البلاط وليس هناك اثر لأى فضيحة فى حياتها. وكنت أنت على حق، وان كنت لا اعرف كيف عرفت ذلك، حين قلت انه كان لها آخت توأم.. دورزتيا.

وكانت مشهورة باسم دوللى. كان ال بريستون جراى يقيمون فى هترز جرين فى إقليم سوسكى. وكانت الفتاتان تتشابهان بشكل غريب، كما هو كثير الحدوث فى مثل هذه الحالة. وقد نبتت سنتهما الأولى فى نفس اليوم ومرضتا بمرض الحصبة فى نفس الأسبوع وكانتا ترتديان دائما ثيابا من نوع واحد وتزوجتا فى نفس الوقت واقترنت كل منهما بضابط وقد مات الطبيب الذى كان يعالجهما وهما طفلتان منذ بضع سنوات وهذا أمر مؤسف جدا لأنه يبدو انه كانت هناك مأساة تتعلق بواحدة منهما.

– الليدى رافنسكروفت؟

– كلا. بل الأخرى. تلك التى تزوجت ضابط يدعى الكابتن جارو وأنجبت منه طفلين، وأصغرهما ولدا صدمته عربة صغيرة وهو فى الرابعة من عمره فأصابته فى رأسه ووقع فى حوض بالحديقة حيث غرق لتوه.

ـ والظاهر أن الغلطة كانت غلطة أخته وكانت فى التاسعة من عمرها عندئذ. كانا يلعبان ثم تشاجرا ووقعت المأساة بهذه الطريقة. ولا يبدو أن هناك أى شك ومع ذلك فقد كانت هناك رواية أخرى تقول

أن الأم غضبت لسبب من الأسباب وضربت الصبى ثم ألقت به فى الحوض. ولكننى لا ظن أن لهذه التفاصيل أهمية لك حيث أنها لا علاقة لها بانتحار آل رافنسكروفت الذى وقع بعد ذلك بسنوات.

- ليس لها أهمية كما يبدو ولكننى أريد أن اعرف سوابق الجميع.

- أرجو أن تلاحظ أن هذا الحادث وقع قبل موت الجنرال رافنسكروفت وزوجته بسنوات كثيرة.

- أظن انهم قاموا بالتحقيق فى ذلك الوقت؟

- طبعا. وقد استطعت أن اعثر على الملف الخاص به، وكذلك أقوال الصحف وكلها تقوم على عدد من التساؤلات على أن الأم قد أحزنها هذا الحادث كل الحزن واضطروا إلى إدخالها المستشفى.

- ويقال أن الحادث أصابها بصدمة كبيرة وأنها تغيرت ولم تعد أبدا إلى سيرتها الأولى.

- ومع ذلك فان البعض اعتقدوا أنها مذنبة.

- يبدو أن هذا كان رأى الطبيب. ولكن لم يكن هناك أى دليل قاطع. إن المرأة الشابة ادعت أنها شهدت المأساة من إحدى نوافذ البيت، وانها رأت الطفلة تضرب أخاها ثم تدفعه إلى الحوض.

- ولكن أقوالها كانت مفككة وغير مترابطة فلم يأخذوها مأخذ الاعتبار.

- أظن انه كان هناك أيضا تقرير الطبيب النفسانى.

- طبعا. نقلت المرأة إلى إحدى المستشفيات لأنه ظهرت عليها

أعـراض واضـحـة تدل على اضطراب ذهنى. وأظن أنهـا عـولجت فى مستشفيين مختلفين وظلت فترة طويلة تحت رعاية طبيب متخصص بمستشفى سانت اندريه بلندن، وأخيرا بعد ثلاث سنوات قرروا أنها شفيت وأعادوها إلى بيتها.

– هل أصبحت طبيعية جدا؟

– احسب أنها بقيت عصبية بعض الشئ.

– وهل كانت تقيم مع آل رافنسكروفت عندما وقعت المأساة.

– أوه، كلا. لسبب بسيط وهى أنها كانت قد ماتت قبل ذلك بثلاثة أسابيع. كانت حالتها قد ازدادت سوءا منذ بعض الوقت، وكانت تتألم من اضطرابات مختلفة، وعلى الأخص كانت تسير وهى نائمة، كانت تتناول فى بعض الأحيان كمية من الأقراص المنومة ثم تهيم لفترة طويلة من الليل فى البيت وفى الخارج كذلك. وذات مساء انطلقت فى طريق الشاطئ الصخرى وفقدت توازنها وماتت على الفور ولم يعثروا على جثتها إلا فى صباح اليوم التالى، وقد حزنت الليدى رافنسكروفت لموتها كثيرا لان كلا من الأختين كانت شديدة التعلق بالأخرى، واضطروا إلى إدخالها المستشفى.

– أيمكن أن يكون هذا الحادث قد دفع آل رافنسكروفت إلى الانتحار بعد ذلك بأسابيع.

فقال القوميسير جاروواى:

– إن لك أفكارا كثيرة اكثر من اللازم يا بوارو. ما كان اليستير

رافنسكروفت ليستطيع أن تكون له علاقة بأخت زوجته دون أن يعلم الجميع. إذا كان هذا هو ما تحاول الإيعاز به فإننى أستطيع أن أؤكد انك مخطئ كل الخطأ.

صلصل التليفون فجأة فنهض المخبر السرى لكى يرد، وعرف على الفور صوت مسز اوليفر:

– مستر بوارو؟.. الديك ما يشغلك بعد ظهر الغد؟ إذا لم يكن لديك ما يشغلك فهل يمكنك القدوم ساعة الشاى؟.. إننى انتظر سليا وستأتى مسز بيرتون كوكس بعدها بقليل.

أجاب بوارو بأنه لن يدع مثل هذه الفرصة تفوته وعادت الكاتبة تقول:

– إننى اعتمد عليك. سأتركك الآن لكى اذهب لزيارة جندى عجوز، مستر هوجر فوسترو قد حدثتنى مسز كاريستيرز عنه وأعطتنى عنوانه.



سليا تلتقى بهريكول بوارو

- حسنا يا سيدتى العزيزة... ما هى نتيجة زيارتك لمستر هوجو فوستر.

- أولا لم يكن اسمه فوستر وإنما فوذ رجيلى. ليس هناك من يخلط الأسماء كما تفعل جوليا، فهى لا تحفظ الأسماء أبدا.

- الأفيال ضعاف الذاكرة إذن فى بعض الأحيان.

- لا تحدثنى عن الأفيال بعد ذلك، فقد فرغت منهم.

- والجندى العجوز؟

- انه رجل عجوز جدا ولكن لا نفع منه أبدا بصفته مصدرا للمعلومات.. تستبد بذهنه حادثة وقعت لأسرة باسم مارثنات مات أحد أطفالهم فى حادث فى الهند لا صلة له بال رافنسكروفت.

- أؤكد لك مرة أخرى إننى فرغت من الأفيال.

- انك أقمت الدليل على كل حال على مثابرة جميلة.

- ستأتى سليا بعد نصف ساعة وقلت لها انك ستكون هنا، هل

كنت تفضل أن تزورك فى بيتك؟

- كلا. هذا افضل.

- أرجو أن لا تبقى كثيرا، وإذا استطعنا أن نتخلص منها بعد ساعة فسيكون أمرا رائعا. فسنجد أمامنا عندئذ متسع من الوقت لكى نتبادل الرأى قبل قدوم مسز بيرتون كوكس.

- إننى واثق أن حديثنا لن يخلو من فائدة.

تنهدت مسز اوليفر وقالت:

- يبدو لى الآن أن لدينا مواد اكثر مما يجب فماذا نستخلص منها؟

- إننى فرزتها وكتبت قائمة صغيرة...

- هل تريدين رؤيتها؟

جلست مسز اوليفر بجوار المخبر وراحت تقرا القائمة من فوق كتفه.

وقالت وهى تضع إصبعها على أول سطر:

- الباروكات... لماذا؟

أجاب بوارو فى رفق:

- أربع باروكات.. إننى استغرب هذا الأمر..

- نعم، هذه نقطة هامة ولكن من العسير حلها.

- أظن أن المحل الذى اشترتها منه الليدى رافنسكروفت لم يعد

موجودا الآن. ويخامرنى إحساس بان النساء لم تعد تلبس الباروكات كثيرا كما كن يفعلن منذ سنوات.

هز بوارو رأسه متشككا وقال:

– مهما يكن من أمر فلدينا هنا نقطة هامة. وهناك نقاط أخرى. كذلك هذه الاضطرابات العقلية فى الأسرة مثلا..

– قضت إحدى التوأمين بضع سنوات فى مستشفيات مختلفة.

– يبدو أن هذه النقطة لا تقودنا إلى أى شئ.. كان يمكنها طبعا أن تقتل أختها وزوجته. ثم لدينا مسالة الطفل الغريق فى الهند.

– ربما أغرقته أخت الليدى رافنسكروفت وربما اغرقته امرأة غيرها، ثم هناك نقطة أخرى وهى المال.

سألته مسز اوليفر فى دهشة:

– وأين يظهر المال فى كل هذا؟

– انه لا يظهر فى هذه القضية بالذات، وهذا ما يدعو إلى الاستغراب، فان المال يظهر فى جميع القضايا تقريبا، إننا سمعنا عن مغامرات غرامية.. سواء كانت صحيحة أو وهمية.. نساء من الجائز أنهن استلمن الزوج والرجال ربما راقوا للزوجة.

– ولكننا لم نسمع عن المال أبدا.. ثم نصل بعد ذلك إلى النقطة التى تزعجنى.. اكثر من غيرها، ولهذا أتلهف للقاء مسز بيرتون كوكس.

– لا أرى الأهمية التى يمكن أن تتخذها فى عينيك هذه المرأة البغيضة التى أصرت على أن أتحرى عن أحداث معينة سرا.

– ولماذا طلبت منك ذلك؟

ـ إن هذا غريب. الواقع انه لدى إحساس تام بأنه ينبغى أن نكشف الدافع لفضولها هذا، فهذه المرأة هى همزة الوصل.

– همزة الوصل؟

– نعم. إننا لا نعرف اكثر من أنها تريد أن تعرف الكثير عن هذا الانتحار...

ـ ويبدو لى أنها هى الرابطة التى ترتبط فى نفس الوقت بابنتك فى العماد وابنها الذى ليس ابنها.

– ليس ابنها؟.. ماذا تعنى؟

– أنها تبنت ديسموند بعد أن مات ابنها هى بالذات.

– ومتى مات هذا الأخير.. وأين؟ وكيف؟

– سبق ان ألقيت على نفسى كل هذه الأسئلة، ولهذا بالذات من المهم أن أرى هذه المرأة.

ودق جرس الباب فى هذه اللحظة فغادرت مسز اوليفر الغرفة لكى تفتح. ولم تلبث أن عادت وبصحبتها سليا رافنسكروفت. وبدت الفتاة مترددة وبدأت تقول:

– لا اعلم إذا كنت...

وأمسكت واتسعت عيناها وهى تنظر إلى هريكول بوارو، وقالت الكاتبة:

- اسمحى لى أن اقدم شخصا يساعدنى فى مهمتى وأرجو أن يساعدك أنت أيضا. انه مستر هريكول بوارو كما قلت لك، وله موهبة كبيرة وهى اكتشاف ما لم يفلح الآخرون فى الاهتداء إليه.

تمتمت سليا:

- أوه.

ونظرت فى ذهول إلى الرجل القصير الذى يقف أمامها والى رأسه التى تشبه البيضة والى شاربه الضخم وقالت فى ارتباك:

- يبدو لى إننى سبق وسمعت عنه.

امسك بوارو عن الرد حتى لا يقول إن العالم كله سمع عن مفاخره وقال:

- اجلسى يا آنسة.. يجب أن أخبرك أولا بأننى حين أبدأ مهمة فأننى أمضى فيها حتى النهاية.

سأكتشف الحقيقة، وإذا كانت مطابقة لما تتمنين فسأذكرها لك ولكن لعلك تريدين الاطمئنان فحسب.

- سيكون هذا شيئا مختلفا تماما. يمكننى أن اكتشف عدة وجوه للقضية يمكن أن تدخل الاطمئنان إلى نفسك. فهل يكفيك هذا؟..

- إذا كان الجواب نعم فلا تطلبى منى شيئا اكثر.

جلست سليا على المقعد الذى قدمه لها المخبر ثم نظرت إليه فى وقار وقالت:

- انك لست واثقا من أننى أريد أن اعرف الحقيقة، أليس كذلك؟

- أظن ان هذه الحقيقة كفيلة بان تسبب لك صدمة وألما ويمكنك عندئذ أن تقولى:

- لماذا نبشت الماضى ولماذا أردت أن اعرف بكل ثمن؟

- منذ وقت طويل وأنا ألقى على نفسى أسئلة يا مستر بوارو، وقد حاولت كثيرا أن افهم ولو بالإشارة ما يقولوه الناس... هؤلاء الناس الذين ينظرون إلى فى شئ من الرثاء كما لو أننى أكاد أن أكون بهيمة غريبة، ولا أريد أن يستمر هذا...

- أريد الحقيقة.. واشعر بأننى جديرة بان أواجهها.

وأمسكت الفتاة لكى تستطرد بعد لحظات:

- ولكن، قل لى، انك التقيت بديسموند، أليس كذلك؟ قال لى انه ذهب لزيارتك.

- هذا صحيح، أما كنت تتمنين أن يأتى لاستشارتى؟

- انه لم يأخذ رأيى.

- ولكن ماذا كنت تفعلين لو انه اخذ رأيك؟

- لا أدرى. لا أدرى هل كنت امنعـــــه من الذهاب إليك أو على العكس، أشجعه على ذلك.

– أريد أن ألقى عليك سؤالا يا آنسة... احب أن اعرف إذا كان فى ذهنك شئ له أهمية جوهرية حقا... شئ يمكن أن يكون أهم من أى شئ آخر.

– ماذا تعنى؟

– جاء ديسموند كوكس لمقابلتى، وهو شاب ظريف جذاب وقد كلمنى بكل جد عن الموضوع الذى يشغله. والنقطة الهامة فى هذا الموضوع هى: هل تريدين أن تتزوجى حقا؟

ـ لان هذا أمر جد، فعلى الرغم أن شباب اليوم ليسوا دائما من هذا الرأى فان الزواج رباط مقدس خلق لكى يدوم دوام الحياة، فهل هذا ما تتمنين؟

ـ إذا كان الجواب نعم فسواء مات أبواك منتحرين أو بأى طريقة أخرى فما أهمية ذلك بالنسبة لك ولديسموند؟

– وأى تأثير يمكن أن يكون له على مستقبلكما؟

– أنت تظن أن موت أبواى يمكن آن يكون راجع إلى... شئ آخر غير الانتحار المزدوج، أليس كذلك؟

– لا اعلم هذا بعد، ولكن لدى من الأسباب أن اعتقد ذلك، فان بعض النقاط لا تتطابق مع نظرية الانتحار على الرغم من أن البوليس قد وصل فيما سبق إلى هذه النتيجة الأخيرة.

– ولكنه لم يكشف أبدا سبب المأساة... أهذا ما تقصده؟

– نعم. هذا ما اقصده تماما.

– وهذا السبب. ألم تعرفه بعد؟

– لست على يقين من ذلك على الأقل. ومع ذلك فاعتقد أننا قد نعرف بعض الأمور المكدرة، وأتساءل هل أنت حكيمة بما فيه الكفاية حتى تقولى:

ـ أن الماضى مات وهذا شاب احبه وان المستقبل هو الذى سنعيشه معا وليس الماضى.

– هل قال لك انه ابن بالتبنى؟

– نعم.

– من هذا ترى إذن أن مسز بيرتون كوكس لا شأن لها بهذه المسألة. لماذا ذهبت إلى مسز اوليفر وألقت عليها هذه الأسئلة؟ إنها ليست أم ديسموند.

– هل هو متعلق بها حقا؟

– كلا، بل أقول انه يكاد يمقتها، وأظن انه لم يحبها أبدا حقا.

– ومع ذلك فقد أنفقت مالها من اجله، لكى تكسوه وتعلمه وتطعمه، هل تظنين أنها، من ناحيتها، متعلقة به؟

– لا أظن ذلك، واعتقد أن كل ما كانت تريده هو أن يكون لها ولدا بدلا من ذلك الذى فقدته. ولكن زوجها كان مات قبل ذلك بشهور.

– نقطة أخرى احب أن اجلوها. ألا يعتمد ديسموند عليها من

الناحية المادية؟

– سيكون بمقدوره الإنفاق على امرأة إذا كان هذا ما تعنيه. ومن ناحية أخرى فإننى اعتقد أن مبلغا من المال قد كتب باسمه عند تبنيه.

– ولكنه لا يستطيع أن يقربه بلا شك.

– هل تريد ان توحى بان فى مقدور أمه أن تحرمه من الميراث إذا تزوجنى؟ لا أظن أنها هددته بذلك أبدا.

ـ بل لا أظن أن فى مقدورها أن تفعل نظرا لان كل شئ قد تم تسويته بواسطة رجال القانون الذين اهتموا بإجراءات التبنى.

– احب أن أسألك شيئا آخر قد تكونين الوحيدة التى تعرفه، ربما فيما عدا مسز بيرتون كوكس نفسها، الديك فكرة عن شخصية الأم الحقيقية لديسموند؟

– هل تعتقد أن هذا يكون السبب الذى حدا لمسز بيرتون كوكس إلى نبش الماضى؟...

ـ الحق إننى أظن أن ديسموند ابن غير شرعى فان الناس يتبنون الأولاد غير الشرعيين عادة. أليس كذلك؟

ـ ومن الجائز طبعا أن تكون مسز بيرتون كوكس قد عرفت شيئا ما عن أب ديسموند وأمه. فإذا صح هذا فإنها لم تقل له شيئا فيما عدا الحماقات التى ينطقون بها أحيانا فى مثل هذه المناسبات. وهى أنها من الخير له أنها تبنته لأنها كانت تريد طفلا فى الواقع، وهذر آخر من هذا النوع.

- بعض الجمعيات تنصح بان يعرف الأولاد الحقيقة فهل يعرف ديسموند أقاربه؟

- لا أظن، ولا اعتقد انه يكترث بذلك كثيرا.

- هل تعرفين إذا كانت مسز بيرتون كوكس صديقة لأبويك؟ هل التقيت بها قبل ذلك وأنت طفلة؟

- لا أتذكر على كل حال. أظن أنها أقامت فى ماليزيا وان زوجها مات هناك. ثم أرسلت ديسموند بعد ذلك إلى إنجلترا حيث أقام على ما أظن عند أولاد عمه، أو ربما فى مدرسة داخلية. وكان يقيم على مقربة منا. فتعارفنا ونحن صغيرين.

- وما زلت أراه وهو يتسلق الأشجار تحت بصرى وأتذكر انه كان يعلمنى أشياء كثيرة عن العصافير واعشاشهم. وبعد ذلك بمدة كبيرة رأيته فى الجامعة. وتحدثنا عن كل ذلك وسألنى عن لقب الأسرة لأنه لم يكن يعرف غير أسمى أنا بالذات واستعدنا الكثير من الذكريات المشتركة، وهكذا تعارفنا من جديد، إذا جاز لى أن استخدم هذا التعبير.

- ولكننى أرى فى الواقع إننى لا اعرف عنه الشئ الكثير وان هناك نقاط احب أن اعرفها إذ كيف يمكن مواجهة حياة مشتركة إذا لم يعرف كل من الطرفين كل شئ عن الآخر وإذا كان لا يعرفان الحقيقة عن أحداث الماضى الهامة.

- وبعبارة أخرى تطلبين منى الاستمرار فى تحرياتى.

- نعم. لا أدرى إذا كنت ستصل إلى نتيجة ملموسة لأننى حاولت أنا وديسموند أن نكشف أمورا معينة وذهبت محاولاتنا عبثا، فهل تظن انك ستستطيع اكتشافها؟

- إننى اعتقد دائما أننى انجح فى كل ما اشرع فيه.

- و هل ستكتشف الحقيقة؟

اعتدل هركيول بوارو فى جلسته وقال:

- نعم يا آنسة. إننى اكتشفها عادة ولا أستطيع أن أقول اكثر من ذلك.



مناقشة حول سليا

قالت مسز اوليفر بعد أن شيعت سليا حتى الباب: حسنا ما رأيك فيها؟

– أن لها شخصية. إنها فتاة مهمة بلا نزاع. ليست أى فتاة.

– هذا صحيح.

– احب أن تحدثينى عنها.

– انك تعلم أننى لا اعرفها جيدا، وهذا يحدث غالبا مع الأشبينات وبناتهن فى العماد، فهن لا يلتقين عادة إلا فى فترات متباعدة.

– لا أريد أى تفاصيل عنها وإنما عن أمها. كنت تعرفينها. أليس كذلك؟

– نعم. كنا فى مدرسة داخلية بباريس. كان قوم كثيرون فيما سبق يرسلون بناتهن إلى باريس لكى يتعلمن كثير من المظاهر البراقة.

ـ ماذا تريد أن تعرف عنها؟

– هل تتذكرين كيف كانت تماما؟

- أوه... نعم.

- ما هو شعورك عنها؟

- كانت جميلة. لا أعنى عندما كانت فى الثالثة عشر أو الرابعة عشر لأنها كانت بدينة نوعا ما عندئذ ولكن فيما بعد.

- هل كانت تتمتع بشخصية قوية؟

- من العسير على أن أكون إيجابية فى هذه النقطة لأنها لم تكن صديقتى الوحيدة طبعا ولا حتى أحد صديقاتى. كنا جماعة صغيرة من الفتيات الإنجليزيات، لنا نفس الميول تقريبا، وكنا نلعب التنس ونغتبط إذا ذهبنا إلى الأوبرا، ولكننا كنا نخاف كثيرا من المتاحف وقاعات اللوحات الزيتية.

- اعرف أن كل هذا مبهم ولكن يتعذر على أن أكون اكثر دقة.

- هذه الفتاة كانت تدعى موللى برستون جراى، أليس كذلك؟...

هل كان لها أصدقاء شبان؟

- أوه، كان لكل منا حبنا العابر. وهو حب أفلاطونى بحت. لم نكن نحب المطربين الشعبيين لأنهم لم يكونوا قد ظهروا بعد ولكننا أحببنا الممثلين. وأتذكر انه كان هناك فى ذلك الوقت ممثل كبير علقت إحدى زميلاتنا صورته فوق فراشها.

- ولكن مس جيروا اعترضت على ذلك وقالت (ليس هذا بالأمر اللائق..) وضحكنا كلنا عندئذ لان الممثل الكبير كان ابو الفتاة المذكورة.

- حدثينى بالمزيد عن موللى برستون جراى هل تشبهها هذه الفتاة التى رأيناها منذ لحظات؟

- كلا. كلا حقا. كانت موللى اكثر حساسية وسريعة التأثر.

- وهل كانت الأخت التوأم لموللى فى المدرسة الداخلية هى الأخرى؟

- دوللى؟... كلا. كانت فى إنجلترا.

- ولكن لا أدرى أين. كنت قد التقيت بها مرتين أو ثلاث مرات ورأيت أنها تشبه موللى شبها كبيرا. أعنى انهما لم يكونا قد حاولتا بعد أن تختلف كل منهما عن الأخرى سواء فى طريقة تصفيف شعرها أو فى زيها عادة كما يحدث عادة مع التوأم عندما تكبر. وان موللى كانت شديدة التعلق بأختها ولكنها لم تكن تتحدث عنها أبدا.

- ويدخلنى إحساس، اليوم على الأقل، لان الفكرة لم تخطر لى من قبل بأنه لا ريب كان هناك أمر غير طبيعى فى دوللى، وأتذكر مرة أو مرتين أن حديثا جرى بأنها مريضة وانهم أرسلوها للعلاج. ومرة أخرى اصطحبتها عمة لها فى رحلة بحرية بسبب الصحة وأتذكر أننى لا اعرف الكثير فيما عدا إحساس بان موللى كانت تحبها كثيرا وأنها كانت تريد حمايتها...

- لا أدرى هل تفهمنى أم لا... أرجو ألا يبدو كلامى لك سخيفا.

- أبدا.

- وفى مناسبات أخرى كانت موللى تتحدث عن أبيها وأمها، وكان

يبدو أنها كانت تحبهما كثيرا، وقد جاءت أمها مرة إلى باريس وأخذتها للنزهة معها. وهى امرأة ظريفة، ولعلها لم تكن جميلة جدا ولكنها كانت هادئة رزينة دمثة الأخلاق.

- لا يبدو حقا أن هناك عناصر كثيرة يمكن أن تساعدنا.

- وبعد ذلك عدنا إلى إنجلترا وافترقنا أنا ومولى لأنها انتقلت إلى الخارج مع أهلها.. واعتقد أنها ذهبت إلى الهند والى برمودا وجزر التتيل.

- أظن أن مسز بيرتون كوكس لن تتأخر عن الحضور الآن.

- إننى أتساءل ماذا يكون من أمرها حين تراك.

قال المخبر السرى وهو يسمع جرس الباب:

- لن نلبث أن نعرف ذلك.

ذهبت مسز اوليفر لكى تفتح الباب. وما هى إلا لحظات حتى ظهرت الزائرة بقامتها الضخمة وقالت:

- ما اجمل مسكنك... وما أكرمك إذا رضيت أن تكرسى لى بعض وقتك، وهو ثمين جدا كما اعرف.

ورأت عندئذ بعينها هريكول بوارو، ولم يكن قد تحرك من مكانه. وارتسمت على وجهها الدهشة شيئا ما ثم انتقلت عيناها من شاربه الضخم إلى البيانو الموجود بجوار النافذة وأدركت مسز اوليفر مما بدا على ملامح مسز بيرتون كوكس أن هذه الأخيرة حسبت بوارو عاملا

قدم لإصلاح البيانو فأسرعت تبدد سوء التفاهم قائلة:

– اسمحى لى أن اقدم لك مستر هريكول بوارو.

تقدم المخبر السرى بضع خطوات وانحنى فوق اليد التى بسطتها له مسز بيرتون كوكس فى حين استطردت الكاتبة:

– انه الرجل الوحيد فى العالم الذى يستطيع ان يجيب على الأسئلة التى ألقيتها على بخصوص ابنتى فى العماد سليا.

– جميل منك أن تذكرت هذا الحديث، وأرجو أن تتمكنى من إخبارى بما حدث على وجه التقريب.

– أخشى أننى لم اصل إلى النتيجة الباهرة. وهذا هو السبب فى أننى لجأت إلى صديقى مستر بوارو فهو رجل مدهش... احسن بوليس سرى فى العالم.

ـ لا أستطيع أن اذكر لك عدد أصدقائي الذين عاونهم ولا عدد القضايا المستغلقة التى تمكن من جلاء طلاسمها.

كان لا يزال يبدو فى عين مسز بيرتون كوكس لمسة خفيفة من الشك عندما أشارت مسز اوليفر إلى مقعد قائلة:

– والآن ماذا أستطيع أن اقدم لك؟..

ـ لقد فات ميعاد الشاى.. كأسا من الشيرى.. أو لعلك تريدين كأسا من الكوكتيل؟

– لا باس بالشيرى. وشكرا لك.

- وأنت يا مستر بوارو؟

- كاس من الشيرى كذلك.

اغتبطت مسز اوليفر لان المخبر السرى لم يطلب منها كأسا من عصير الكرز أو أى مشروب آخر من المشروبات الخالية من الكحول وأسرعت تبحث عن زجاجة وبضعة كئوس.

- إننى اطلعت مستر بوارو على نوع التحقيق الذى تريدين أن يقوم لك به.

- حقا؟.. حسن جدا.

والغريب أن مسز بيرتون كوكس بدت على غير طبيعتها وبدأت تقول مخاطبة المخبر السرى:

- من العسير أن نفهم شباب اليوم. أن ابنى شاب ابنى عليه الآمال الكبار.. وهذه الفتاة ظريفة..

- ولكن.. لا يمكن أن ندرى. اعرف إن مثل هذه الصداقات تظهر فجأة أحيانا ولكنها لا تدوم. وهذا هو حب الشباب كما كان يحلو لنا ان ندعوه فيما سبق ومع ذلك فمن المهم أن نجمع بعض المعلومات عن.. سوابق الناس. فأنت تعرف أسرات اليوم..

- أوه، إننى اعرف المأساة، قيل أنها انتحار مزدوج ومع ذلك فلم يستطع أحد الاهتداء إلى السبب الذى حدا بال رافنسكروفت إلى هذا العمل. لم يكن لنا أصدقاء مشترلين. ومن المتعذر عليا أن أبدى رأيا. وأعود فاقول أن سليا فتاة ظريفة.

ـ ولكننى مع ذلك أود لو أن اعرف المزيد عن..

– فهمت من مسز اوليفر انك تريدين معرفة شئ بالذات، والواقع..

وتدخلت الكاتبة عندئذ فقالت فى صوت ثابت:

– قلت لى انك تريدين معرفة إذا كان أبو سليا هو الذى قتل أمها أو إذا كان العكس هو الذى حدث.

– يبدو لى فى الواقع أن هناك فرقا كبيرا بين الأمرين.

– إن وجهة النظر هامة جدا.

وعادت مسز بيرتون كوكس تقول:

– احب أن اعرف الأسباب التى دفعت الزوجين الى.. لا ريب انك توافقينى على أن من الواجب أن نفكر فى الأولاد المنتظر إنجابهم لأننا نعلم أن الوراثة، فى وقتنا هذا، أهم بكثير من البيئة التى ينشأ فيها الأطفال، فهى تطبعه ببعض السمات الأخلاقية وتثبت فيه أخطارا خطيرة نود لو أن نجنبه إياها.

– هذا صحيح. ولكن على القوم الذين يتحملون هذه الأخطار اتخاذ القرار الذى يعتقدون انه الأفضل، وبمعنى اصح على ابنك وعلى هذه الفتاة أن يتخذوا هذا القرار.

– اعرف ذلك. ففى وقتنا هذا لا يسمح للأهل بالاختيار ولا حتى إبداء الرأى.. ومع ذلك فإننى أريد أن أكون على بينة.. إذ رأيت انه لابد أن تقوم بإجراء تحقيق..

ولكن لعلنى اهتم بهـذا الولد العـزيز اكـثـر من اللازم.. هكذا الأمهات؟

وأطلقت ضحكة قصيرة ثم أحنت رأسها وقالت وهى ترفع كاسا الى شفتيها:

– لعلك تريد أن تفكر فى الأمـر.. ومن ناحيـتى أنا فسوف أطلعك على النقاط التى تشغلنى على الخصوص.

ونظرت إلى ساعة يدها وهتفت:

– أوه، يا إلهى، إن لدى مـوعـدا وقـد تأخـرت. يجب أن أسـرع بالانصراف. أرجو أن تعذرينى يا مسز اوليفر.

ـ ولكنك تعرفين كيف تجرى الأمور، إننى وجدت مشقة كبيرة بعد ظهر اليوم فى العثور على سيارة أجرة. إن الحياة أصبحت مستحيلة حقا.

ثم تحولت إلى بوارو من جديد وقالت:

– أظن أن مسز اوليفر لديها عنوانك؟

أجابها مستر بوارو وهو يعطيها بطاقة من جيبه:

– هاك عنوانى يا سيدتى.

– شكرا يا مستر بوارو. أظن انك فرنسى.

– اننى بلجيكى يا سيدتى.

– آه.. نعم.. بلجيكا..

- حسنا. يسرنى إننى تعرفت بك.. واشعر حقا بأمل كبير.

- أوه، يا إلهى يجب أن انصرف حقا.

وهزت فى قوة يد مسز اوليفر ثم شدت على يد مستر بوارو وغادرت الغرفة فى خطوات كبيرة. وتناهى إلى الأسماع صوت قدميها وهى تعبر البهو ثم صوت الباب وهو يصفق خلفها بشدة.

وقالت مسز اوليفر:

- حسنا. ما رأيك؟

- وأنت؟

- اشعر تماما بأنها هربت. لا ريب انك أفزعتها بطريقة أو بأخرى.

- نعم. هذا ما حدث حقا.

- كنت تريد أن استجوب سليا وان انتزع منها معلومات أو أسرار، ولكنها لا تريد أن تقوم بتحقيق حقيقى. أليس كذلك؟

- بدون نزاع. وهذا أمر هام فى حد ذاته. قلت لى أنها ثرية؟

- أظن ذلك، فهى ترتدى ثيابا غالية وتقيم فى حى فخم، ولا أظن أن فى حياتها أى شئ مشبوه. استعلمت عنها عن طريق أناس كثيرون ولعلهم لا يحبونها كثيرا ولكن يبدو أنها تكرس نفسها للجمهور وأنها تشترك فى جمعيات كثيرة وتهتم بأعمال خيرية من كل الأنواع.

- ما الذى لا يرضيها إذن؟

- هل تظن حقا أن هناك شيئا لا يرضيها؟

ـ ألا تقول هذا متأثرا بنفور بغيض؟

– إننى متأكد أن هناك شيئا لا تريد أن نتبينه.

– وهذا الشئ؟ هل ستحاول أن تكشفه؟

– طبعا، فان هربها بهذه الصورة دليل على أنها كانت تخشى الأسئلة التى يمكن أن نلقيها عليها.

تنهد بوارو وقال:

– أظن انه يجب علينا آن نذهب إلى ابعد من هذا كما ترين.

– ابعد من هذا؟.. أتعنى فى الماضى؟

– نعم. فمن المحتمل جدا أن هناك، فى هذا الماضى، شيئا يجب أن نعرفه قبل أن نهتم بمأساة أوفر كليف.

– ولكن ماذا يجب أن نفعل فى الوقت الحالى. ماذا فى قائمتك غير ذلك؟

– لعلك تتذكرين، انه بين المعلومات التى جمعتها وأنا اقلب تقارير البوليس انه كانت هناك أربع باروكات.

– نعم. واذكر انك قلت أن هذا كثير.

– صحيح أن هذا العدد بدا لى زائدا عن الحد على الفور.. وكذلك جمعت بعض العنواين وخصوصا عنوان طبيب يمكن أن يكون ذا عون لنا.

– طبيب أسرة رافنسكروفت؟

- كلا. وإنما الطبيب الذى أدلى بأقواله فى حادث الصبى الصغير الذى غرق فى الحوض والذى أغرقته أخته أو امرأة أخرى كما قيل..

- أتعنى الأم؟

- الأم أو أى امرأة أخرى كانت موجودة فى البيت فى ذلك الوقت. إننى اعرف المنطقة التى وقع فيها هذا الحادث بإنجلترا. وذلك بفضل القوميسير جارووای وبعض أصدقائى الصحفيين.

- ولكن لا ريب أن الطبيب الذى تتكلم عنه قد بلغ من العمر عتيا.

- ولهذا فلن اذهب لرؤيته هو وإنما سأرى ابنه فقد تخصص هو الآخر فى علاج الأمراض العقلية. وربما استطاع أن يقدم لى بعض المعلومات الهامة. وينبغى أن نتحرى كذلك عن الناحية المالية، فالمال نقطة تعود دائما إلى القضايا الجنائية.

- من الذى يفقد مبلغا من المال بسبب حادث معين، ومن الذى يستفيد منه. هذا ما ينبغى معرفته دائما.

- ما كانوا ليجهلوا ذلك فى قضية رافنسكروفت بالذات.

- طبعا فقد كتب كل من الزوجين وصية يترك فيها كل أمواله لمن يبقى على قيد الحياة بعد الآخر، ولكن لم يستفد أى منهما من ذلك نظرا لأنهما ماتا هما الاثنان فى وقت واحد ولم يستفد من موتهما ماليا غير اثنين فقط هما ابنتهما سليا وأخوها الأصغر ادوارد وهذا الأخير مازال يتلقى دروسه الجامعية فى الخارج.

- لن تجنى شيئا من كل هذا، فمن الواضح انه لا شأن للولدين

بموت أبويهما.

- هذا واضح فعلا. ولكن يجب أن نذهب إلى ابعد من هذا.. ابعد من هذا سواء من الأمام أو من الخلف أو من كل النواحى حتى نكتشف إذا لم يكن هناك فى ناحية ما دافعا له طابع مالى.

- لا تطلب منى القيام بمثل هذا التحقيق على كل حال، لأننى لا افهم شيئا فى المسائل المالية.

- ولهذا لن اطلب منك شيئا من هذا القبيل، ولكننى أظن، على العكس انه لا ضير عليك فى أن تقومى بالتحقيق فى مسالة الباروكات.

- الباروكات مرة أخرى.

- إن المحل الذى باعها صالون حلاقة بشارع بوند، وقد نقل إلى مكان آخر ثم اضطر إلى أن يتوقف عن نشاطه بعد ذلك.

- ولكننى لدى هنا عنوان مدام روزالين وتقيم فى شلتنهام. ويمكنك أن تذهبى لزيارتها. وكانت فى الوقت الذى يهمنا تدير هى وزوجها صالونا بشارع بوند الذى حدثتك عنه.

- وأظن انه إذا قامت أمها وأعنى بها أنت يا مسز اوليفر بهذا التحقيق البسيط فسوف يؤدى إلى نتائج افضل.

- وفى هذه الأثناء تذهب لاستجواب الطبيب. هل تعتقد انه سمع عن هذا الحادث من أبيه؟ أتعنين الأخت التوأم لليدى رافنسكروفت؟

- نعم. وقعت حادثتان لا اعلم من الجائز أن تكون تورطت فيهما.

أولهما فى هاتزرزجرين حيث لقى ابنها البالغ من العمر أربع سنوات مصرعه، والثانى فى الهند بعد ذلك بكثير ويتعلق بموت طفل آخر. من الجائز أنه اعلم شيئا.

– هل تقصد أن تقول انه بما أن الأختين توأمتين فانه ربما كانت مولى هى الأخرى مصابة بمرض عقلى؟

- إننى لا اعتقد هذا أبدا، فقد كانت موللى رقيقة، عطوفة، حنونة، ودودة... كانتت فتاة ظريفة حقا.

– يبدو ذلك فى الواقع، ولكن هل تقولين أنها كان سعيدة كذلك؟

– نعم، بكل تأكيد.

- أوه، إننى اعرف تماما أننى لم أرها قليلا بعد سنواتنا التى قضيناها فى باريس لأنها لم تقطن إنجلترا ولكن فى كل مرة جاءتنى منها رسالة، وفى كل مرة التقيت بها فيها أحسست بأنها سعيدة جدا.

– وأختها؟.. أما كنت تعرفينها؟

– كلا. فى كل مرة رأيت فيها موللى كانت أختها موجودة للعلاج فى إحدى المستشفيات أنها لم تحضر حتى زواج موللى.

– وهذا أمر غريب فى حد ذاته.

– مازلت لا أجد من كل هذا ما نجنيه.

أجاب بوارو فى رقة:

– بضع معلومات صغيرة فحسب.

دورويثا جراى

هبط هريكول بوارو من سيارة الأجرة ونقد السائق اجره وأضاف إليه حلوانا ثم تأكد من انه أمام العنوان المنشود واخرج من جيبه رسالة معنونة باسم الدكتور ويلوجبى. وصعد الدرجات الأمامية للفيلا وضغط بإصبعه على الباب. وفتح له خادم قال له بعد أن استفسر عن اسمه أن سيده فى انتظاره.

وتقدم المخبر السرى إلى غرفة صغيرة مريحة تختفى جدرانها تماما خلف صفوف من الكتب.

وكان هناك مقعدان بجوار الموقد ومنضدة صغيرة فوقها كأسان وقارورة من الكريستال.

- ونهض الطبيب وكان طويل القامة نحيف الجسم عريض الجبهة اسمر الشعر حاد العينين. وشد على يد زائره وأشار له أن يجلس.

وناوله بوارو خطاب التقديم ففضه الطبيب بعد أن قرأه ألقاه على المنضدة ثم نظر إلى زائره فى اهتمام وقال:

- أخبرنى القوميسير جارور بزيارتك وطلب منى أن ابذل جهدى لتيسير التحقيق الذى تقوم به.

أجابه المخبر السرى:

اعرف أن هذه منة اطلبها منك، ولكن لأسباب خاصة فان لهذه القضية أهمية بالنسبة لى.

- بعد كل هذه السنين؟

- الواقع انه مضت عليها مدة طويلة، وإننى اعرف تماما أن بعض التفاصيل لابد أن تكون أفلتت منك.

- لا أظن ذلك، فإننى تخصصت منذ وقت طويل فى فرع معين فى مهنتى.

- وأظن أن أباك كان هو الآخر حجة فى هذا الفرع.

- هذا صحيح. لقد تقدم بنظريات عديدة اتضح صحة بعضها فى حين بدت نظريات أخرى مخيبة للآمال.

- ولكن أظن انك مهتم بشخص كان تحت علاجه فى وقت من الأوقات؟

- هو ذلك. إننى مهتم بامرأة تدعى دوروثيا بريستون جراى.

- كنت شابا يافعا فى ذلك الوقت، ولكننى كنت أتتبع مع ذلك

باهتمام كبير أعمال أبى بالرغم من أن آراءنا كانت تختلف فى بعض الأحيان. ماذا تريد أن تعرف عن هذه الفتاة التى أصبحت فيما بعد مسز جارو؟

– كان لها أخت توأم اسمها مرجريت، أليس كذلك؟

– نعم. كان أبى فى ذلك الوقت يهتم كل الاهتمام بمشروع يقوم على متابعة ودراسة حياة التوأم على وجه الخصوص فان بعض هؤلاء التوأم شبوا فى بيئة واحدة وبعضهم شبوا فى بيئات مختلفة وكان يريد أن يعرف هل يبقون متشابهين إذ حدثت لهم نفس الأشياء فى نفس الوقت. ولكن أظن انك لم تأتى الآن لكى تستمع إلى هذه النظريات.

– يهمنى بوجه خاص أن اعرف التفاصيل التى أحاطت بحادثة معينة وقعت لطفل فى الرابعة من عمره، ابن مسز جارو بالذات.

– أظن أن هذا قد حدث فى إقليم سورى، بجوار كامبرى. كانت مسز جارو أرملة فى ذلك الوقت لان زوجها كان قد مات منذ قليل فى حادث سيارة. وقد أحزنها ذلك كل الحزن وكان من رأي طبيبها المعالج أنها قد تشفى من هذه الصدمة بطريقة مرضية.

ـ واستدعى أبى للاستشارة وكان من رأيه أن المريضة تتعرض لإخطار حقيقية وان من الحكمة أن تبقى تحت الملاحظة فى إحدى المستشفيات حيث يمكن أن تلقى فى فترة من الوقت كل العناية اللازمة. ووضعت فعلا تحت الملاحظة ولكن فيما بعد، وبعد ان غادرت المستشفى وقعت الحادثة، فقد كانا ولداها الاثنان يلعبان فى الحديقة، وطبقا لأقوال مسز جارو فان الطفلة. وكانت تبلغ التاسعة من العمر

تضرب أخاها الصغير على رأسه وألقت به فى الحوض حيث غرق.

ومثل هذه الأشياء تقع أحيانا، وغالبا ما تكون بدافع الغيرة، ولكن فى هذا الحالة بالذات كان الأمر يبدو غير ذلك لان الطفلة لم يقع لها ما يغضبها ولم تشعر بأى استياء عند مولد أخيها الصغير ولا بعد ذلك. ولكن من ناحية أخرى كانت مسز جارو لا ترغب فى ذلك الولد.

- بل أنها كانت قد استشارت طبيبين لكى يقوما بإجهاضها. ولكن أيا من الطبيبين لم يقبل القيام بمثل هذه العملية، وكانت فى ذلك الوقت غير قانونية.

ولكى نعود إلى الحادثة، كان أحد موظفى التلغراف يدخل البيت فى هذه اللحظة وأدلى بأقواله فقال أن الولد لم تضربه طفلة أو تلقى به فى الحوض إنما التى ضربته وألقت به فى الحوض امرأة، ومن ناحية أخرى، كانت هناك خادمة تنظر من النافذة فرأت سيدتها تدفع الطفل وتلقى به فى الحوض. وقالت فى هذه المناسبة (لا أظن أن المرأة المسكينة كانت تعى ما تفعل لأنها لم تبرأ أبدا من الصدمة التى ألمت بها بموت زوجها.

- ومهما يكن فقد انتهى التحقيق إلى أن موت الطفل كان نتيجة حادث عرضى. ومع ذلك فان أبى قابل مسز جارو مقابلة طويلة خضعت أثناءها لكثير من التجارب. وانتهى إلى نتيجة وهى أنها مسئولة كل المسئولية عن الحادثة وانه من الأوفق إدخالها المستشفى. وكانت هناك فى ذلك الوقت طريقة شائعة جدا للعلاج وكان أبى يؤمن بها فقد كان المعتقد عندئذ أن المرضى بعد أن يخضعوا للعلاج

المناسب، وهو علاج قد يستمر سنة أو اكثر فى بعض الأحيان، كان المعتقد أن فى إمكان المرضى العودة إلى حياتهم السابقة العادية فى إطارها العادى.

- وكان يصرح لهم بالعودة إلى ديارهم وبفضل رعاية عائلية وطبية فى نفس الوقت كان يمكن تدبير كل شئ. ويجب أن اعترف أن فى حالات كثيرة كانت هذه الطريقة فى العلاج تفلح تماما.

- ولكن كانت هناك تجارب انتهت إلى أسوا نهاية كذلك. فان المرضى الذين كان يبدو انهم برئوا تماما كانوا يعودون إلى بيوتهم ويستأنفون حياتهم العادية فى إطارها العائلى ثم ينتكسون فجأة.

واليك مثلا لذلك، فقد خرجت امرأة من المستشفى لكى تقيم مع صديقة كانت تعيش معها من قبل.

وبدا أن كل شئ كان يسير على ما يرام ثم ذات مساء، بعد خمسة أو ستة شهور دعت طبيبها على عجل وعندما اقبل قالت له: (ستغضب حتما حين ترى ما فعلت، ولا ريب انه يجب أن تستدعى البوليس، ولكننى لم استطع أن افعل غير ذلك فإننى رأيت الشيطان يخرج من عين هيلدا وأدركت عندئذ أننى يجب أن اقتلها).

وكانت المرأة المسكينة قد قتلت خنقا وهى جالسة فى مقعدها أما المذنبة فقد ماتت بعد ذلك بسنوات فى ملجأ نفسانى وهى ما تزال مقتنعة بان الجريمة التى ارتكبتها كان لابد أن تفعلها حيث انه كان من واجبها أن تقتل الشيطان.

هز بوارو رأسه فى حزن فى حين استطرد الطبيب يقول:

– نعم. إننى أرى أن دوروثيا برستون جراى كانت تعانى هى الأخرى، وان كان بصورة أخف بكثير من نوع من الجنون الخطر وكان يجب أن تبقى تحت رعاية مستمرة.

ـ وكان هذا رأى أبى كذلك. وقد عولجت من جديد فى مستشفى آخر، وبعد سنة أو سنتين بدا أنها شفيت وغادرت المستشفى عندئذ ومضت لكى تعيش حياة عادية برفقة ممرضة كانت مكلفة لرعايتها ومراقبتها تقريبا ولكن أهل البيت كانوا يحسبون أنها وصيفة لها. ثم قررت مسز جارو ذات يوم أن تنتقل إلى الخارج.

قال بوارو:

– إلى الهند بالذات.

– هو ذلك. ذهبت إلى أختها التوأم، الليدى رافنسكروفت.

– وهناك وقع الحادث الثانى.

– نعم. هوجم ابن إحدى الجارات. وتبين وقتها أن التى هاجمته خادمة هندية.

ـ ولكن فى هذا الحادث أيضا لم يكن هناك شك فى أن المذنبة هى مسز جارو نفسها وان الذى دفعها لذلك سبب غامض لا يعرفه أحد غيرها. لم يستطيعوا إثبات شئ بطريقة أكيدة ولكن الجنرال رافنسكروفت كان من رأيه انه يجب إرسال أخت زوجته إلى إنجلترا لإخضاعها لعلاج طبيب جديد.

ـ أهذا ما كنت تريد معرفته يا مستر بوارو؟

– نعم كنت اعرف جزءا من هذه القصة ولكن بالسماع فقط، وأود الآن أن أحدثك عن الأخت التوأم لمسز جارو، مرجريت ستون جراى التى أصبحت فيما بعد الليدى رافنسكروفت بحكم زواجها، أيجوز أنها كانت هى الأخرى مصابة بنفس المرض العقلى؟

– لقد ألقى أبى هذا السؤال على نفسه. وقد قابلها مرتين او ثلاث مرات وتحدث معها طويلا لأنه كان قد لاحظ فى اغلب الأحيان اضطرابات تكاد تكون متشابهة عند التوأم اللذين كان كل منهم يتعلق بالآخر فى بداية حياتهما. ولكنه تأكد أن الليدى رافنسكروفت كانت سليمة العقل تماما.

– قلت كانوا يتعلقان أحدهما بالآخر فى بداية حياتهما. أليس كذلك؟

– نعم. لأنه فى بعض المناسبات يمكن أن تنشا فيما بعد عداوة بين التوأمين ويمكن للحب الفطرى أن ينقلب إلى كراهية شديدة. وإننى أتكلم بصراحة وأتساءل إذا لم يكن هذا هو ما حدث فى المسالة التى تهمنا فان سير اليستر رافنسكروفت، وكان لا يزال ضابطا صغيرا، وأظن انه كان ملازما فى ذلك الوقت احب دوروثيا برستون جراى أولا. وكانت فتاة جميلة جدا عندئذ.

بل انه قيل لى أنها كانت اجمل الأختين. واستجابت الفتاة لحبه. ولم تعلن خطبتها رسميا أبدا لان الملازم لم يلبث أن تخلى عنها وحول اهتمامه إلى أختها مرجريت وطلب من هذه الأخيرة أن تتزوجه، وتم

زواجهما فعلا.

وقد أدرك أبى أن دوروبتا استولت عليها غيرة شديدة من أختها مع بقائها على حبها لزوج أختها.

ومع ذلك فقد انتهى بها الأمر إلى أن تزوجت هى الأخرى برجل آخر... وكان زواجا سعيدا فى الظاهر إلى أن مات زوجها فى حادث، وقامت بزيارة آل رافنسكروفت مرارا عديدة، ليس فقط فى ماليزيا ولكن فى إنجلترا كذلك بعد عودتها.

ـ وكان يبدو عندئذ أنها شفيت تماما. وأظن، كما قال لى أبى على الأقل، أن الليدى رافنسكروفت كانت شديدة التعلق بها. كانت تحميها وتساندها دائما فى كل المناسبات وتحبها بحنو ورقة.

ـ وأظن أنها كانت تتمنى أن تراها كثيرا.

ولكن سير اليستر لم يكن يميل إليها كثيرا ومن الجائز أن مسز جارو المختلة العقل شيئا ما ظلت بعد ترملها تعانى من مشاعر قبل زوج أختها لم يكن هذا الأخير الا ليجدها محرجة. ومع ذلك فيبدو أن زوجته حسبت فى آخر الأمر أن أختها تخلصت من الغيرة التى كانت تشعر بها من نحوها.

– أظن أننى فهمت أن مسز جارو كانت تقيم مع آل رافنسكروفت قبل المأساة بقليل.

– هذا صحيح. وقد ماتت هى نفسها ميتة مفجعة قبل موت أختها والجنرال رافنسكروفت بنحو ثلاثة أسابيع. كانت مصابة بداء المشى

وهى نائمة. وخرجت ذات ليلة من الفيلا وسارت نحو الشاطئ الصخرى واختل توازنها وسقطت من عليه، ولم يعثروا عليها إلا فى صباح اليوم التالى.

وقد اضطربت أختها موللى لهذه النهاية المؤلمة، ومع ذلك فإننى أظن انه اعتبار هذا الحادث مسئولا عن انتحار الجنرال وزوجته بعد ذلك. فان الحزن التى تشعر به امرأة لموت أختها يمكن أن يؤدى إلى عمل يائس فى بعض الحالات العنيفة ولكنه لا يتسبب أبدا فى انتحار مزدوج.



مواجهة حاسمة

- أريد أن أســـــألك عن بعض الباروكات. إننا لم نعد نهتم بهذا النوع الآن.

- كنت تملكين فيما سبق محلا للتجميل فى لندن، أليس كذلك؟

- نعم. فى شــارع بوند أولا ثم شــارع سلون. ولكننى سـعيـدة أنا وزوجى لاستقرارنا هنا فى الريف. ولكن ألست أنت مسز ريان اوليفر؟

إرتبكت الكاتبة وغمغمت:

- نعم.

- إننى احب رواياتك كثيرا. قرأت منها الكثير. ماذا أستطيع أن أسـدى لك؟ لعلك تريدين بعض المعلومات عن باروكات الأيام الماضيـة وموضة الأمس؟

- ليس تماما. حدى صديقاتى، وقد ماتت ميتة مفجعة منذ سنوات كانت قد اشترت باروكاتها من عندك.

- انك تكلمت عن ميتة مفجعة، فما اسم صديقتك؟

– الليدى رافنسكروفت.

– أوه، نعم. إننى أتذكرها تماما. كانت امرأة جميلة جدا. وكان زوجها ضابطا قديما، أليس كذلك؟

– نعم. والمفروض انهما ماتا معا.

– أننى أتذكر إننى قرأت ذلك فى الجرائد وسمعت الناس يتحدثون عنه.. نهاية محزنة حقا، ولكن ماذا تحسبين أن فى استطاعتى أن أخبرك به. أننى لم اعرف أبدا تفاصيل المأساة.

– كانت الليدى رافنسكروفت كما قلت لك منذ لحظة عميلتك، وأثناء التحقيق الذى أجرى عقب موتها لوحظ انه كان لديها أربع باروكات، وهذا يدل على الإفراط شيئا ما.

– آه، نعم...

ـ انك على حق لان معظم النساء اللائى يلبسن باروكات يقنعن باثنتين ليتمكن من استبدال واحدة بالأخرى عند تنظيفها.

– هل تتذكرين الظروف التى طلبت فيها الليدى رافنسكروفت الباروكتين الآخرين.

– لم تأت هى نفسها، وإنما جاءت فتاة أخرى تتكلم الإنجليزية بطلاقة ولا ريب أنها وصيفة الليدى رافنسكروفت أو شيئا من هذا القبيل، وأخبرتنى بما تريده الليدى: لون الشعر والشكل وخلافه. وطلبت منى باروكتين.

– من نوعين مختلفين؟

- نعم. واحدة للخروج بالليل على ما اعتقد والأخرى بخصلات صغيرة يمكن لبسها تحت قبعة. على أننى لم أر الليدى رافنسكروفت بعد ذلك أبدا. ولكننى اعرف أنها حزنت كثيرا لموت أختها التوأم، ومع ذلك فقد تبدو سعيدة جدا قبل ذلك.

- مما يؤسف له أننا لا نعرف أبدا ما ينتظرنا فى الطريق.

- ولهذا السبب أظن أن هناك أشخاصا كثيرين دائمى القلق والانشغال.



بعض التفاصيل

جلس مستر جوبى أمام هريكول بوارو واخرج بعض وريقات من حافظة أوراقه فسأله المخبر السرى:

- هل عثرت على شئ هام؟

- جمعت عددا من التفاصيل.

كان مستر جوبى مشهورا فى لندن كلها وكان الناس يتساءلون بأية معجزة كان يتمكن من جمع معلوماته وخفض عينه فى أوراقه وقال:

- مسز بيرتون كوكس... تزوجت أولا بمستر الدبورى وكان يملك مصنعا لإنتاج الزراير بالجملة وقد قتل فى حادث سيارة بعد زواجه بأربع سنوات.

وقد أنجبت منه ولدا قد مات بعد قليل من ذلك قضاء وقدر. والت ثروة مستر الدبورى إلى زوجته ولكنها لم تكن بالأهمية التى كانت تتوقعها لان الشركة كانت تخسر منذ بضع سنوات ولان مستر الدبورى أوصى بمبلغ جسيم لامرأة تدعى كاتلين فين كانت تربطه بها علاقة

وثيقة لم تكن زوجته على علم بها.

وبعد ثلاث سنوات تبنت مسز الدبورى ابن كاتلين فين، وقد أقسمت هذه الأخيرة على أن ابنها من الفقيد مستر الدبورى. وهذه نقطة لا يمكن إثباتها لان مس فين كانت على علاقات كثيرة برجال كرماء وأغنياء.

- ومهما يكن من أمر فقد تبنت مسز الدبورى الطفل وتزوجت بعد ذلك بالقومندان بيرتون كوكس.

(واشتغلت مس فير بعد ذلك بالمسرح وأصبحت مطربة مشهورة وجمعت ثروة طائلة، وكتبت عندئذ لمسز بيرتون كوكس تطالبها باسترداد الطفل ولكن مسز بيرتون رفضت ذلك وهى تعيش الآن فى بحبوحة مما خلفه لها زوجها الثانى الذى لقى مصرعه فى ماليزيا.

وثمة نقطة أخيره وهى أن مس كاتلين فين ماتت منذ نحو ثمانية عشر شهرا تاركة وصية توصى بموجبها بان تؤول كل ثروتها، وهى ثروة ضخمة، إلى الابن غير الشرعى ديسموند المعروف الآن باسم ديسموند بيرتون كوكس..

قال بوارو:

- هذا كرم كبير منها. وكيف ماتت؟

- طبقا للمعلومات التى جمعتها أصيبت بسرطان دم.

- وهل تسلم الشاب ثروة أمه؟

- تنص الوصية على أن يستثمرها القيم حتى يبلغ ديسموند الخامسة والعشرين من عمره.

- ويمكنه عندئذ أن يعتمد على نفسه. هل حرر وصية بدوره؟

- لا اعرف...

ولكن فى مقدورى أن استعلم عن ذلك. وسأتصل بك تليفونيا بمجرد أن اعرف.

وانصرف مستر جوبى. وبعد نصف ساعة تقريبا صلصل جرس التليفون. وكان هريكول بوارو يكتب بعض الملاحظات فى ورقة أمامه، وكان يقطب جبينه ما بين لحظة وأخرى، فمد يده وتناول السماعة وأصغى هنيهة ثم قال:

- شكرا لك. هذا عمل سريع. وأشكرك جدا. إننى أتساءل كيف يمكنك الاهتداء إلى كل هذا..

- نعم، هذا يفسر لنا الموقف تماما، فقد اصبح هناك معنى لشئ لم يكن له اى معنى..

- نعم، نعم إننى مصغ إليك.. هل أنت واثق مما تقول؟..

يعرف انه ابن بالتبنى ولكن لم يذكر له أحد من هى أمه الحقيقية؟

- نعم، إننى افهم، حسن جدا.. انك أوضحت لى الآن نقطة أخرى.. شكرا لك.

أعاد بوارو السماعة مكانها واستأنف كتابته، وبعد بضع دقائق دق

جرس التليفون ثانية وقال صوت لم يجد المخبر اقل عناء فى معرفة صاحبته:

- إننى عدت الآن من شلتنهام.

- هل رأيت مدام روزالين؟

- نعم. إنها امرأة ظريفة. وقد كنت أنت على حق. فهى فيل آخر.

- أى؟

- إنها تذكرت مولى رافنسكروفت تماما.

- وهل تذكرت باروكاتها؟

- نعم.

واطلعته فى إيجاز على ما ذكرته لها صاحبة محل التجميل. وقال بوارو: هذا يتفق مع ما لدى من معلومات، وما ذكره لى جاروواى بالضبط.. باروكة بخصلات قصيرة وأخرى للخروج ليلا واثنتان عاديتان.

- كنت تعرف كل هذا إذن؟

- أوه، نعم. ولكن هل قالت لك مادام روزالين أن الليدى رافنسكروفت أرادت باروكتين أخريين غير الباروكتين اللتين كانتا لديها؟.. وهذا قبل وقوع المأساة بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع. هذا أمر هام، ألا ترين ذلك؟

- بل هذا أمر طبيعى جدا فانه يحدث عادة أن تتلف الباروكة وإذا

لم تستطع صاحبتها إصلاحها فلابد لها من غيرها. ولا أرى فى كل هذا ما يدعو إلى القلق والاستغراب.

– لست قلقا بالمعنى الصحيح. ولكن أهم ما هناك هو ما نطقت به أنت منذ لحظة. قلت أن فتاة فرنسية هى التى طلبت الباروكتين.

– نعم. أظنها وصيفة. كانت الليدى رافنسكروفت متوعكة وتعذر عليها الذهاب بنفسها إلى طلبها فأرسلت وصيفتها.

– فهمت. هل تعرفين اسم هذه الفتاة الفرنسية؟

– كلا. لم تذكره مدام روزالين لى وأظن أنها لا تعرف اسمها هى الأخرى، فقد اتصلت الليدى رافنسكروفت بمدام روزالين تليفونيا لكى تخبرها بقدوم الفتاة إليها.

– حسنا. هذا يوضح لى بجلاء ما يجب أن افعل الآن.

سألته مسز اوليفر فى دهشة:

– هل عرفت شيئا؟

– إن لك طبيعة متشككة يا صديقتى العزيزة. تتصورين دائما أننى لا افعل شيئا فيما عدا الجلوس فى مقعدى.

– إننى مقتنعة انك فى مقعدك لتفكر، ولكن لا يسعنى إلا أن أقول انك لا تخرج كثيرا.. لكى تعمل.

أجاب المخبر السرى فى هدوء:

– ومع ذلك فسأخرج فى مستقبل قريب جدا واعمل.. بل من

الجائز أن اعبر المانش.

– أوه، هل تريد أن أرافقك؟

– كـــلا . شكرا لك . أظن أن من الأفـضل أن أســافــر هذه المرة بمفردى .

– هل تتكلم بجد؟.. هل ستسافر حقا .

– طبعا . وستكونين سعيدة يا عزيزتى لأننى سأزخر نشاطا .

وأعاد السماعة وأدار رقما آخر وقال يخاطب القوميسير جاروواى:

– أنا هـريكول بوارو . أرجـو أن لا أزعـجك كـثـيـرا . هل هـنـاك مـا يشغلك فى هذه اللحظة؟

– أبدا . إننى أسقى ورودى وهذا كل شئ.

– هناك شيئا أود أن أسألك إياه. شئ صغير جدا .

– بخصوص مسالة الانتحار؟

– هو ذلك. اعرف انه كـان هناك كلب فى البيت، وأنت نفسك قلت لى انه كان يرافق عادة سير اليستر والليدى رافنسكروفت فى نزهتهما .

– هذا صحيح. ويبدو أننى أتذكر أن الخادمة قالت أثناء التحقيق أن سير اليستر والليدى رافنسكروفت أخذا الكلب معهما كعادتهما .

– وأثناء فحص الاثنين هل اكتشف الطبيب آثار عض.. ليس من الضرورى أن تكون آثار حديثة .

– من الغريب أن تسألنى هذا، واعترف أننى ما كنت لأتذكر هذا الأمر لو لم تسألنى عنه. ولكن كانت هناك فعلا على ساقى الليدى رافنسكروفت نادبات خفيفة ناتجة عن عضوض وأتذكر شيئا الآن. فان الخادمة كانت قد قالت أن الكلب هجم على سيدتها مرتين أو ثلاث مرات وعضها، ولكنها كانت عضوضا خفيفة غير خطرة، وإحداها كانت حديثة نسبيا، منذ أسبوع أو أسبوعين طبقا لأقوال الخادمة.

قال بوارو فى تفكير:

– أود لو أن اعرف هذا الكلب فهو ذكى.

ثم شكر القوميسير وأعاد السماعة إلى مكانها وتمتم:

– بل هو أذكى من رجال البوليس.



رحلة إلى جنيف

اغلق مستر هريكول بوارو الباب خلف مس لينفجستون بعد أن أدخلته غرفة استقبال مسز اوليفر ثم مضى فجلس أمام صديقته الكاتبة وقال وهو يخافت من صوته:

– إننى مسافر.. سأستقل الطائرة إلى جنيف.

– هل تنوى أن تعثر فيها على فيل؟

– بل لعلنى اعثر على فيلين.

– أما أنا فلم اعثر على شيئ آخر. والواقع أننى لا اعلم ماذا افعل لكى اعرف المزيد.

– إن لابنتك فى العماد أخا اصغر منها، أليس كذلك؟

ـ أين هو الآن؟

- أظن انه يكمل دروسه فى الجامعة فى كندا.

- وهل تريد أن تذهب لاستجوابه هو الآخر؟

- كلا. إنما أريد أن اعرف مكانه ولكننى أظن انه لم يكن فى الفيلا عندما وقع الانتحار.

- لا أخالك على كل حال تظن انه هو الجانى.. وانه هو الذى قتل أباه وأمه؟.. اعلم تماما أن هذه أشياء تقع ولكن.. لا تنسى انه كان فى الرابعة من عمره عندما وقعت المأساة.

- انه لم يكن فى البيت على كل حال، وقد عرفت ذلك من تقارير البوليس.

- هل اكتشفت شيئا آخر هاما؟..

- أراك منفعلا.

- إننى كذلك فعلا. فقد اكتشفت أشياء جديدة يمكن أن تلقى الضوء على كل ما نعرفه.

- تكلم إذن.

- يخامرنى إحساس بأننى اعرف الآن لماذا سألتك مسز بيرتون كوكس ذلك السؤال، ولماذا تريد أن تجمعى لها معلومات عن انتحار آل رافنسكروفت.

- إذن فأنت تعتقد أن الأمر لم يكن مجرد فضول؟

- بل إننى واثق أن هناك دافعا، وهنا يدخل المال.

- المال؟.. وما دخل المال فى هذه المسألة؟

- إن مسز بيرتون كوكس غنية بما فيه الكفاية، أليس كذلك؟

- بل لديها ما يمكنها من أن تعيش فى بحبوحة، وهذا أمر مؤكد، ولكن يبدو أن ابنها حرر وصية عندما بلغ سن الرشد لصالح أمه بالتبنى. والواقع انه كتبها تحت إلحاحها ولم يكن أمامه فى ذلك الوقت من يوصى له بأمواله غيرها.

- لا أرى كيف يدفع ذلك مسز بيرتون كوكس إلى أن تحاول معرفة التفاصيل التى أحاطت بال رافنسكروفت.

- إنما أرادت أن تمنع الزواج فحسب، فان الشاب إذا كانت له خطيبة، وإذا كان ينوى أن يتزوج فى مستقبل قريب فان أمه بالتبنى لن ترث عندئذ المال الذى يؤول إليها إذا مات لان الزواج يبطل مفعول أية وصية سابقة له. وكان المتوقع أن يكتب ديسموند وصية جديدة لصالح زوجته.

- ومن رأيك أن مسز بيرتون كوكس لم تكن تريد هذا.

- كانت تتمنى أن تكشف شيئا يثنى ديسموند على أن يتزوج هذه الفتاة. أظن أنها كانت ترجو.. وتعتقد أن أم سليا قتلت زوجها قبل أن تنتحر، فمثل هذا الأمر من شانه أن يحمل الشاب على التفكير وحتى اذا كان سير اليستر رافنسكروفت هو الذى قتل زوجته فان هذا الأمر قد يحث الفتى على أن يتخلى عن مشروع زواجه.

- هل تعنى انه فى مثل هذه الحالة يمكن أن يكون للفتاة نفسها

ميلا لارتكاب جريمة قتل؟ ولكن هذا أمر غير معقول فان ديسموند ليس غنيا، وبما انه ابن بالتبنى فبماذا يمكن أن يوصى فى وصيته؟

– أن أمه الحقيقية التى لم يكشف له أحد حقيقة أمرها أبدا كانت مطربة جمعت ثروة طائلة وقد أوصت له بكل ما تملكه. وقد أرادت فى وقت من الأوقات أن تسترد ابنها ولكن مسز بيرتون كوكس اعترضت، ولا ريب أنها كانت تعتقد منذ تلك اللحظة أن كتلين فين، وهو اسم أم ديسموند، ستترك كل ثروتها لابنها، ومع ذلك فان هذا الأخير لن يتسلم ميراثه إلا فى عامه الخامس والعشرين. هل تفهمين الآن لماذا لا تريده مسز بيرتون كوكس أن يتزوج.

– وأظن أن هذا هو السبب أيضا فى إنها لا تريد أن تتعمق فى التحقيق فى حادث انتحار آل رافنسكروفت.

– على الأرجح.

– هل هذا كل ما اكتشفت؟

– كلا. هناك شئ آخر. علمت من القوميسير جاروواى أن خادمة آل رافنسكروفت كانت ضعيفة البصر جدا.

– وهل لهذا أهمية.

أجاب بوارو وهو يلقى نظرة على ساعته:

– هذا جائز. حسنا. أظن انه يجب أن انصرف الآن.

– لكى تذهب إلى المطار؟

- كلا. إن طائرتى لن تنطلق قبل صباح الغد، ولكن هناك مكانا أريد أن أراه رأى العين، ولدى عربة تنتظرنى أمام الباب لكى تذهب بى إلى حيث أريد.

- وما الذى تريد أن تراه؟

- لعل كلمة (أرى) ليست الكلمة المناسبة تماما. فإننى أريد بالحرى أن أتلمس الجو..

- نعم، نعم.. هذه هى الكلمة اللازمة.. إنها مسألة جو.



سر المقبرة

اجتــــاز هريكول بوارو البــــاب الحديدى للمقبرة الصغيرة وانطلق فى أحد الممرات.

ولم يلبث أن وقف أمام جدار تغطيه الطحالب. وخفض عينيه إلى القبر الذى تحت قدميه ثم رفعها فى بطء لكى يتأمل الكثبان الرملية والبحر الذى يمتد على مدى البصر.

وعاد القبر فلفت نظره من جديد. كان بعضهم قد وضعوا فوقه باقة من الزهور منذ قليل. باقة صغيرة من الزهور البرية.. نوع الباقة التى يمكن أن يجمعها طفل، ولكنه لم يعتقد أن هذه الباقة قد جاء بها طفل.

وراح يقرأ الكلمات المنقوشة على الرخام.

دوروبتا برستون جراى زوجة جارو

ماتت فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٨

وهى فى السابعة والثلاثين من عمرها

ومرجريت برستون جراى زوجة رافنسكروفت

ماتت فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٨

وهى فى السابعة والثلاثين من عمرها

واليستير رافنسكروفت، زوجها

مات فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٨

وهو فى السادسة والخمسين من عمره

جمعهم الموت ولتغمدهم الله برحمته

تأمل بوارو الضـريح لحظة أخـرى ثم هـز رأسـه فى بطء وهبط الممر.

وعندما غادر المقبرة انطلق فى طريق مؤدى إلى الشاطئ الصخرى، وما لبث أن وقف وقد حول عينيه نحو البحر وحدث نفسه فقال فى صوت خافت:

- إننى واثق أننى اعرف الآن ما حدث.. والسبب فى انه حدث.



نزيف الذكريات

قـــال بوارو وهو ينحنى: الآنســـة روسل.

بسطت الآنسة روسل يدها إليه، ورأى بوارو أنها تناهز الخمسين من العمر. وكان يبدو إنها ربت بيت وذكية دمثة الأخلاق راضية بحياتها التى انقضت بما فيها من سراء وضراء.

وقالت:

– سمعت عنك، فان لى أصدقاء فى سويسرا وفرنسا، ولكننى مع ذلك، لا أدرى كيف يتسنى لى مساعدتك على الرغم من انك أوضحت لى كل شئ فى خطابك، إن هذه المسالة بعيدة جدا... ولكن تفضل بالجلوس.

– انك كنت فى وقت من الأوقات مربية عند آل رافنسكروفت ومما لا شك فيه انك تتذكرينهم.

– إن الإنسان لا ينسى أحداث شبابه.

نعم، إننى أتذكر الطفلين. كان اسم البنت مأخوذا من إحدى

مسرحيات شكسبير.. أكان روزالند أو سليا؟

- سليا.

- هو ذلك. سليا. وأتذكر أبوها كذلك.

- وكانت هناك أخت لليدى رافنسكروفت أيضا.

- نعم. ولكنها لم تكن هناك عندما وصلت. كانت عليلة دائما وتحت العلاج فى مكان ما.

- هل تتذكرين اسم الأختين؟

- نعم. مرجريت ودوروثيا. ولكن الجميع كانوا يدعوهما موللى ودوللى. كانتا توأمتين حقيقيتين وكانتا متشابهتين بشكل عجيب.كانتا جميلتين جدا.

- وأظن أن كل منهما كانت تحب الأخرى كثيرا؟

- طبعا. وكان يبدو وبصفة خاصة أن الليدى رافنسكروفت كانت شديدة التعلق بأختها. وعندما التحقت أنا بخدمتها كانت سليا فى السادسة أو فى السابعة من عمرها. وكان الصبى الصغير فى الثالثة. كنت سعيدة جدا معهم.

- وأظن انهم كانوا سعداء هم الآخرون. سمعت أن الطفلين كانا يحبان اللعب معك كثيرا.

- إننى أحببت الأطفال دائما.

- كانوا يدعونك مادى، أليس كذلك؟

راحت الآنسة روسل تضحك ثم قالت:

- آه.. لو تعرف كم احب سماع هذا الاسم. انه يعيد إلى ذهنى ذكريات كثيرة.

- هل عرفت كذلك صبيا صغيرا باسم ديسموند بيرتون كوكس؟

- طبعا. كان يقيم على مقربة. وكان يأتى كثيرا ويلعب مع سليا وإدوارد.

- هل بقيت مدة طويلة مع الليدى رافنسكروفت؟

- بقيت معه سنتين أو ثلاث سنوات تقريبا فقد اضطررت إلى العودة إلى البلد لأنى أمى كانت مريضة جدا، وماتت بعد عودتى بنحو سنة، وبعد ذلك افتتحت مدرسة صغيرة داخلية للفتيات اللاتى يرغبن فى إتقان اللغة الأجنبية. ولم اعد إلى إنجلترا.

- ولكن كانت تأتينى بطاقات من سليا وإدوارد فى أعياد الميلاد بانتظام.

- هل تعتقدى أن سير اليستير وزوجته الليدى رافنسكروفت زوجين سعيدين؟

- كانا سعيدين جدا. وكانا يعبدان ولديهما.

- هل كانا متكافئين؟

- كان يبدو انهما يتمتعان بكل الصفات الضرورية لكى يكون زواجهما ناجحا.

– قلت لى منذ لحظة أن الليدى رافنسكروفت كانت شديدة التعلق بخصوص أختها بصفة خاصة فهل كان العكس صحيحا؟

– يا إلهى... لم أجد الفرصة أبدا لكى أتأكد من ذلك.

ـ ولكن إذا أردت فإننى طالما أحسست أن دوللى كانت بحاجة إلى قليل من الاتزان فإننى رأيتها تتصرف بطريقة غريبة مرتين أو ثلاث مرات. كانت غيورة بطبعها، وقد فهمت إنها كانت مخطوبة لسير اليستر قبل أن يتزوج أختها. وكانت هذه الأخيرة تتمتع بكامل قواها العقلية. كما كانت رقيقة جدا وجميلة جدا. اما دوللى فإننا كنا نحسب أحيانا إنها تعبد أختها ثم لا نلبث أن نرى إنها تكاد تمقتها فى مناسبات أخرى.

ـ وكانت ترى كذلك إننا نهتم بالطفلين اهتماما كبيرا يفوق الحد، ولكن هناك شخصا يمكنه أن يحدثك عن آل رافنسكروفت افضل منى وأعنى به الآنسة مورا التى حلت مكانى بعد أن اضطررت إلى مغادرتهم وقد بقيت هى فى خدمتهم مدة كبيرة، بل أنها عادت فيما بعد، بعد أن التحقت سليا بالمدرسة الداخلية بسويسرا لكى تكون وصيفة لليدى رافنسكروفت.

– لدى عنوانها فى لوزان، وكنت مصمما قبل ذلك على زيارتها.

– إنها امرأة ظريفة ويمكن الوثوق بها كل الثقة. وإذا كان هناك شخص يمكنه أن يقدم لك تفاصيل كاملة عن مأساة اوفر كليف وعن أسبابها فإنها ذلك الشخص.

ولكنها كتومة جدا، ولم تتحدث معى أبدا فى هذا الصدد فهل تطلعك أنت على شئ؟.. هذا ممكن.

وإذا كان بوارو قد أحس بارتياح كبير إيذاء زيارته للآنسة روسل فقد أحس بارتياح اكبر إيذاء زيارته للآنسة مورا. لم تكن قوية الشخصية كالآنسة روسل ولكنها كانت اصغر منها بكثير.

ـ كانت لا تزال جميلة جدا تتقد حيوية لها عينان دقيقتا الملاحظة يبدو أن كما لو كانتا تحاولان كشف سر غموض الشخص الواقف أمامها. وقال المخبر السرى يحدث نفسه:

– إنها امرأة فريدة.

وقالت:

– كنت انتظرك اليوم أو غدا يا مستر بوارو، فقد جاءتنى رسالة من شخص يهتم كثيرا بسليا.. من شاب اسمه ديسموند بيرتون كوكس أخطرنى بزيارتك.

– انه أصر كثيرا لكى آتى لزيارتك فى الواقع.

– خيل لى انه يعانى من بعض الصعوبات التى يجب تذليلها، وكذلك سليا. وهو مقتنع بان فى استطاعتك مساعدتهما.

– نعم. تضافرت بعض الظروف وحملت أم هذا الشاب على أن لا ترى بعين الرضا زواجه بسليا. وحاولت أن تكتشف أسباب مأساة اوفركليف واتصلت لهذا السبب بمسز اوليفر، أم سليا فى العماد، وكانت تعتقد طبعا أن سليا على علم بما جرى.

– إن سليا لم تعرف عن المأساة شيئا أبدا.. وهى لا تستطيع أن تعرف اكثر مما قيل فى التحقيق، فهى كانت غير موجودة فى إنجلترا ذلك الوقت ورأيى أن من الحكمة أن تخفى عنها الظروف الحقيقية التى أحاطت بموت أبويها.

– وهل تُقرين أنت هذا القرار؟

– من الصعب أن أبدى رأيى. فبقدر ما أستطيع أن اعرف لم تهتم هى بأى شئ ولم تنزعج أبدا. أعنى إنها لم تحاول أن تعرف الأسباب التى دفعت أبويها إلى الانتحار، وقبلت الأمر كما لو كانت تفعل لو انهما لقيا مصرعهما فى حادث سيارة أو طائرة، ثم انك تعرف إنها بقيت مدة طويلة فى مدرسة داخلية خارج إنجلترا.

– فى المدرسة الداخلية التى كانت تحت إدارتك أنت؟

– نعم. وقد اعتزلت أخيرا تاركة مكانى لإحدى زميلاتى.

– إذا كنت قد فهمت جيدا فان سليا لم تسألك عن أية تفاصيل أثناء إقامتها لديك.

– كلا. الواقع أنها كانت هنا قبل وقوع المأساة بمدة كبيرة. ولكنى لم اكن مديرة للمدرسة فى ذلك الوقت، إذ كنت لا أزال اعمل عند آل رافنسكروفت.. كنت وصيفة لليدى رافنسكروفت.

– وكانت مريضة إذا لم أخطئ؟

– نعم. ولكن مرضها لم يكن خطيرا كما كانت تعتقد فى البداية. لم تكن تشكو إلا من إرهاق شديد.

- كنت موجودة إذن فى اوفركليف عندما وقعت المأساة. هل تستطيعين أن تذكرى لى كيف وقعت؟

- خرج الجنرال والليدى رافنسكروفت فى نزهتهما العادية، وعثر على جثتيهما فوق الشاطئ الصخرى، وكان المسدس ملكا للسير اليستير، وكان يحتفظ به فى درج مكتبه، وقد رفعوا بصماته وبصمات زوجته عن قبضته.

- ولكن لم يستطع المحققون معرفة أى منهما امسك به آخر مرة. وكان التفسير الوحيد المنطقى هو انهما انتحرا معا.

- ألم يكن لديك أى سبب للشك فى هذا التفسير؟

- اعتقد أن البوليس نفسه لم يستطيع اكتشاف الدافع إلى هذه المأساة.

- آه.

- أرجو المعذرة؟

- لا شئ.. لا شئ.. كنت أفكر فى شئ فحسب.

رفع المخبر السرى عينيه إلى الآنسة مورا، كانت هذه الأخيرة متمالكة هادئة الأعصاب لم ينم وجهها عن أى انفعال فقال:

- إذن فانت لا تستطيعين الإفضاء إلى بشئ آخر؟

- أخشى ذلك.

- ومع ذلك فانك تتذكرين هذه الفترة جيدا؟

– واضح تماما أن من العسير نسيان مأساة كهذه.

– وتم الاتفاق على أن لا تعلم شيئا من ذلك؟

– فيما يتعلق بى أنا لم اكن اعلم اكثر من ذلك!

– كنت فى اوفركليف قبل أن تقع المأساة بأسابيع كثيرة، أليس كذلك؟

– نعم. ولكن كانت تلك إقامتى الثانية هناك، لأننى كنت قد أقمت معهم مدة كبيرة قبل ذلك بصفتى مربية لسليا، وعدت فيما بعد لليدى رافنسكروفت.

– وهل كانت أخت الليدى رافنسكروفت تقيم فى اوفركليف فى ذلك الوقت؟

– نعم. كانت قد قضت فترة فى احدى المستشفيات ولكن حالتها تحسنت ورأى الأطباء أن من الأوفق ومن الحكمة أن تستعيد حياتها العادية فى بيئة عائلية. وكانت سليا فى المدرسة الداخلية فى ذلك الوقت ورأت الليدى رافنسكروفت أن من الكرم أن تدعوها للإقامة معها.

– هل كانت كل منهما شديدة التعلق بالأخرى؟

قطبت الآنسة مورا حاجبيها قليلا وبدا كأن سؤال بوارو قد

آثار اهتمامها وقالت:

– من العسير أن اعرف ذلك. واعترف أننى ألقيت على نفسى هذا السؤال كثيرا، فى ذلك الوقت وحتى فيما بعد، كانتا توأمتين حقيقيتين

وكانتا بينهما بالطبع رابطة متينة حقا. كانتا تتشابهان فى نقاط كثيرة ولكن كانت هناك نقاط أخرى كذلك كان يبدو انهما مختلفان فيها كل الاختلاف.

– احب لو تحددى فكرتك هذه بعض الشئ.

– أوه. ليس لهذا أى دخل فى المأساة، واعتقد أن من المسلم به اليومان التوأم الحقيقية تولد عادة وبينهما شبه عجيب فى الطباع. وحتى إذا افترقوا بعد ذلك وشب كل منهم بعيدا عن الآخر فان نفس الأشياء تقع لهما فى نفس الوقت تقريبا.

ـ وقد لوحظ أن بعض الحالات تبدو مذهلة. ومثال ذلك:

ـ أختان تعيش أحدهما فى إنجلترا والثانية فى الخارج تختاران كلبا من نفس الفصيلة فى نفس التاريخ وتتزوجان رجلا من نفس الطبقة وتضعان مولودهما فى نفس الشهر وهكذا. يحدث لهما هذا كما لو كانتا مضطرين إلى اتباع نفس التوجيه أينما تضعهما ظروف الحياة. ولكن هناك الحالة المضادة كذلك.. نوع من رد الفعل.. بل أكاد أقول من الكراهية تحمل كلا من التوأمتين إلى أن تصد الأخرى وان تختلف عنها بكل الوسائل وان تتخلص بكل ما يمكن أن يربطها بالأخرى وقد يؤدى هذا إلى نتائج غريبة.

– نعم، صحيح أن الحب يمكن أن يتحول إلى بغضاء بكل سهولة، فعندما يكف إنسان عن حب شخص آخر فان من الأسهل عليه أن يمقته بدلا من أن لا يبالى به. هل كانت الأخت تشبه الليدى رافنسكروفت كثيرا.

- كانت تشبهها كثيرا جثمانيا على الرغم من أن تعبير وجهها كان يبدو مختلفا. كانت دائمة التوتر وكانت تبدو عصبية على عكس الليدى رافنسكروفت. وفوق ذلك كانت تحس بنوع من الكراهية لا اعرف سببه نحو الأطفال.

- وقد تسببت كراهيتها هذه فى أحداث خطيرة؟

- هل حدثوك عن هذا أيضا؟

- عرفت ذلك من أناس آخرين عاشروا الأختين عندما كانتا فى الهند. فقد كانت الليدى رافنسكروفت تقيم مع زوجها، وذهبت دوللى لزيارتها وعندئذ وقع حادث لطفل بدا أن الأخت كانت مسئولة عنه. لم يكن هناك دليل قاطع ضدها ولكن سير اليستير رأى على كل حال أن من الضرورى إعادة أخت زوجته إلى إنجلترا لكى تدخل المستشفى من جديد.

- نعم أن هذا ملخص رائع للطريقة التى وقعت بها الأحداث، على الرغم من أننى لم اعلم بهذه الأحداث إلا سماعا بالطبع.

- ولكن هناك إلى جانب هذا حقائق أخرى تعرفينها جيدا، أليس كذلك؟

- إذا صح هذا فلا أرى سببا لكى أتذكرها الآن، أليس من الأوفق أن ندع الأشياء كما هى.

- ربما وقع فى اوفركليف فى ذلك الوقت، حادث انتحار مزدوج وربما وقعت جريمة قتل. وتوجد أيضا احتمالات أخرى. ومن عبارة صغيرة نطقت بها الآن اعتقد انك تعرفين تماما ما حدث، بل انك تعرفين ما حدث قبل ذلك أيضا. سألقى عليك سؤالا أرجو أن تجيبى

على بكل صراحة. انه لا يتعلق بواقعة ملموسة ولكن بإحساسك الشخصى. كيف كانت، على رأيك أنت، مشاعر الجنرال رافنسكروفت نحو الأختين؟

بدا أن الآنسة مورا تتخلى عن توترها لأول مرة ثم راحت تتكلم كما لو كان الكلام يريحها.

كانتا جميلتين جدا، وهذا بشهادة الجميع. وكان سير اليستير قد شغف بدوللى أولا، فعلى الرغم من أنها كانت مختلة العقل قليلا إلا أنها كانت فاتنة جدا وجذابة، أعنى من الناحية الجنسية. ويبدو انه احبها كثيرا. ولكن يبدو انه اكتشف فى طباعها شيئا وأفزعه.

ـ ولعله شهد بداية جنون والأخطار التى قد تنجم عنه. لا أستطيع إلا أن أخمن وافترض. ولكن المؤكد انه نقل حبه لموللى وتزوجها.

– إذن فقد احبهما معا.. ليس فى نفس الوقت طبعا ولكن الواحدة بعد الأخرى. وفى كلتا الحالتين كان مخلصا فى حبه؟

– نعم. ولكنه تعلق بموللى كثيرا بعد ذلك وأولاها كل ثقته كما أولته هى ثقتها. كان رجلا ظريفا جدا ووسيما.

– أرجو أن تصفحى عنى ولكن يغامرنى إحساس بأنك أنت أيضا شغفت به قليلا؟

– أنت.. أتجرؤ وتقول لى هذا؟

– طبعا. أوه.. لا أعنى أن كانت هناك علاقة بينك وبينه ولكننى فقط أريد أن أقول انك كنت تحبينه.

اعترفت الآنسة مورا قائلة:

- نعم.. كنت احبه، ومازلت احبه، وليس فى هذا ما اخجل منه. أما هو فقد كان يثق بى ولكنه لم يعشقنى أبدا. بل إننى لم اكن اطلب شيئا اكثر من ما كان يعطينى إياه.. ثقته ومودته.

- ولهذا السبب بذلت كل ما فى مقدورك أثناء تلك الأزمة الفظيعة التى مر بها. اعلم أن هناك أمورا ما كنت تريدين أن تكاشفينى إياه ولكننى سأقول لك أن ما عرفته من مصادر مختلفة وما أخبرنى به بعض الناس الذين عرفوا الأختين.

- إننى اعرف الحياة المفجعة والمؤلمة التى عاشتها موللى واعرف شقاءها والأسى الذى أحست به. وإذا كانت قد أحبت فعلا الرجل الذى كانت مخطوبة له فربما أحست بالبغضاء نحو أختها، بل لعلها لم تصفح عنها أبدا، ولكن موللى؟.. كيف كانت مشاعرها ناحية أختها فى رأيك أنت؟

- كانت تحبها كثيرا.. حبا عميقا.. وكانت تتمنى لو استطاعت أن تحميها وتبعد عنها الأخطار.

لزم بوارو الصمت لحظة ثم قال:

- لنستعرض الآن، إذا أردت، حقائق أخرى. الباروكات أولا وعددها أربع. اعرف كيف كانت واعرف كذلك انه عندما دعت الضرورة إلى شراء اثنتين آخرين فان فتاة فرنسية هى التى ذهبت لشرائهما من لندن. وكان هناك كلب كذلك يرافق سير اليستير وزوجته يوم المأساة،

وهذا الكلب نفسه كان قد عض سيدته قبل ذلك.

– كثير من الكلاب تفعل ذلك، ولا يمكن أن نثق بها ثقة كاملة.

– وسأقول لك أيضا، ما حدث فى اوفركليف فى ذلك اليوم طبقا لما أراه، وما حدث فيها قبل ذلك أيضا.

– وإذا رفضت أن أصغى إليك؟

– بل ستصغين إلى. ولك أن تقولى بعد ذلك أن كل ما ذكرته غير صحيح وانه نتيجة خيالى المحض. ولكننى لا أظن انك ستفعلين ذلك لأننا بحاجة إلى الحقيقية، فهناك فى مكان ما فى إنجلترا فتاة وشاب متحابان ويخافان المستقبل بسبب ما حدث وما قد ورثته الفتاة من أبيها أو عن أمها، ولكنهما من الشجاعة بحيث يستطيعان مواجهة الحقيقة دون خوف وبكل ما فى الحياة من رضا وقبول بالواقع لأنهما يأملان خيرا.

– الظاهر انك تعرف اكثر مما كنت أتصور. تكلم يا مستر بوارو، إننى مصغية إليك.

البيوت المسكونة

وقف هريكول بوارو من جديد على الشاطئ الصخرى المشرف على البحر التى راحت أمواجه الصاخبة تتدافع وتتكسر على الصخور..

فى هذا المكان بالذات اكتشفت جثتا الزوجين وفيه لقيت الأخت مصرعها قبل ذلك بثلاثة أسابيع أثناء سيرها وهى نائمة.

واليوم سيجتمع فى هذا المكان أشخاص كثيرون: شاب وفتاة يبحثان عن الحب وشخصان آخران من معارفهما.

حول بوارو بصره إلى البحر ليرده بعد ذلك إلى الطريق المؤدى إلى فيلا كانت تعرف فيما سبق بفيلا (اوفركليف). لم تكن بعيدة جدا. وكان يرى سيارات واقفة بطول الجدار.. وفوق الباب كانت هناك لافتة تعلن أن الفيلا معروضة للبيع كما كانت على الباب نفسه لوحة صغيرة تشير إلى أن اسمها تغير من فيلا (اوفركليف) إلى (دوان هاوس). وتقدم المخبر السرى لملاقاة ديسموند بيرتون كوكس وسليا

رافنسكروفت، وكانا يصعدان الطريق معا.

وقال الشاب:

– لقد أعطاني السمسار المفتاح لكي ادخل إذا شئت ولكن البيت انتقل من صاحب إلى آخر مرتين أثناء الخمس عشر سنة الأخيرة ولا أظن انه بقي فيه شئ يستحق أن يرى.

وقالت سليا:

– لا أظن ذلك. اشتراه أول مرة رجل يدعى أشار باعه بعد ذلك إلى من يدعى فالوفيلد لأنه وجده بعيدا جدا عن العمران. ويريد فالوفيلد أن يتخلص منه بدوره. لعله مسكون.

– هل تعتقدين حقا بان هناك بيوتا مسكونة؟

– أظن.. إنني لا أدري، ولكن من الجائز انه مسكون، أليس كذلك؟.. بعد كل الذي حدث.

تدخل بوارو فقال:

– لا أظن ذلك، فقد كان هنا الشقاء والموت، ولكن كان هناك الحب كذلك.

ووقفت سيارة أجرة في اسفل الطريق فقالت سليا:

– لا ريب أنها مسز اوليفر.. فقد قالت لي أنها ستأتي بالقطار وتستقل سيارة أجرة من المحطة بعد ذلك.

هبطت امرأتان من السيارة. كانت إحداهن مسز اوليفر فعلا. أما

الأخرى فكانت ترتدى ثيابا أنيقة، وكانت أطول منها قامة واصغر سنا. وراقب بوارو سليا من طرف عينيه لكى يرى رد الفعل. وبقيت الفتاة لحظة مشدوهة ثم اندفعت متألقة الوجه من الفرح وألقت بنفسها بين ذراعى الآنسة مورا وهى تصيح:

- أوه.. إنها زيليا.. إننى لا أخطئ.. زيليا.. ما أسعدنى.. لم اكن اعرف انك قادمة.

- أتيت لان مستر بوارو طلب منى ذلك.

- إننى افهم.. أخيرا.. أظن أننى افهم.. اهو أنت يا ديسموند؟

- نعم. إننى كتبت إلى الآنسة مورا.. إلى زيليا، هذا إذا كانت تسمح لى بان ادعوها بهذا الاسم أنا الآخر.

- طبعا. إننى تساءلت هل من الحكمة آن آتى. ومازلت أتساءل إذا كنت قد أحسنت صنعا. أرجو ذلك على كل حال.

قالت سليا:

- أوه، نعم. إننى أريد أن اعرف. إننا نتمنى معا أن نعرف الحقيقة. كان ديسموند مقتنعا انك تستطيعين أن تقولى لنا شيئا. هل كان انتحارا أم جريمة قتل؟ هل قتلوا أبى وأمى لسبب لا ندريه؟

مضى بوارو فى بطء نحو المقاعد الحديدية الموجودة على مقربة من البيت تحت خميلة كبيرة وقال:

- سنجلس هنا. عاش أناس آخرون فى هذا البيت واصبح له جو

مختلف اليوم. ونستطيع إذا شئنا أن ندخله بعد أن نفرغ من تحقيقنا.

قال ديسموند:

– تحقيقنا.

– نعم. فى الأحداث التى وقعت هنا منذ أربعة عشر عاما.

ثم تحول إلى الفتاة وقال وهو يجلس:

– فى رأيك انه يجب أن يكون إما انتحار وإما جريمة قتل؟

– لا يمكن إلا أن يكون أحد الأمرين.

– من رأيى إننا إيذاء جريمة قتل وانتحار، وإيذاء ما يمكن أن اسميه حكما بتنفيذ الإعدام كذلك. ويا لها من مأساة.. مأساة شخصين متحابين ماتا حبا، لان هناك ماسى أخرى كثيرة غير مأساة روميو وجوليت، ولان الشباب ليسوا وحدهم بالضرورة الذين يتألمون من عذاب الحب وتباريحه وليسوا وحدهم كذلك الذين يتأهبون للموت حبا.

تمتمت سليا: إننى لا افهم.

– سوف تفهمين حالا.. سأذكر لكم الآن ما حدث، وكيف اكتشفت الحقيقة. إن الحقائق الأولى التى أثارت اهتمامى هى نفس الحقائق التى لم يجد لها البوليس تعليلا.

وأبدأ فأقول انه كانت هناك أربع باروكات بين أمتعة الليدى رافنسكروفت.

وامسك بضع لحظات ثم عاد يقول فى لهجة خطابية:

- أربع باروكات.

وتحول إلى زيليا فى تساؤل فقال:

- إنها لم تكن تلبس الباروكة باستمرار ولكنها كانت تلبسها من وقت لأخر.. عندما تسافر مثلا، أو إذا خرجت من غير قبعة وعادت ثم اضطرتها الظروف إلى الخروج فورا دون أن تجد وقتا لتمشيط شعرها. وكانت تلبسها كذلك عندما تذهب إلى حفلة ليلية.

- نعم. واغلب النساء اللاتى يلبسن الباروكات لا يملكن اكثر من اثنين، ولكن أربعة.. بدا لى ذلك أمر غريب، لا سيما وأنت الطبيب الذى فحص جثتها ذكر فى تقاريره أن حالة شعرها جيدة وانه لم يكن يخشى عليها من الصلع. وإحدى هذه الباروكات كانت فاتحة اللون والثانية ذات خصلات قصيرة، وكانت تلبس هذه الأخيرة فى اليوم الذى لقيت فيه مصرعها.

- كان من الجائز أن تلبس باروكة أخرى غيرها فى ذلك اليوم. ألهذا الأمر أهمية؟

- ربما. قالت الخادمة أثناء التحقيق إن سيدتها كانت تلبس هذه الباروكة بصفة مستمرة تقريبا منذ بضع أسابيع.

- لا أرى..

- وفى الأسبوع الماضى بينما كنت أتحدث مع القوميسير جارووای ذكر لى عبارة غريبة هى: (نفس الرجل ولكنه يلبس قبعة أخرى) وخطرت لى عندئذ فكرة.

- مازلت لا افهم.

- ثم هناك غير الباروكات مسالة الكلب.

- الكلب.. وما دخله فى هذه المسالة؟

- كان، طبقا لأراء الجميع، متعلقا جدا بسيدته. ولكنه مع ذلك، وفى خلال الأسبوعين أو الأسابيع الثلاثة التى سبقت المأساة عضها مرارا كثيرة.

قال ديسموند: هل تريد أن نعتقد أن الكلب أحس أن الليدى رافنسكروفت كانت عازمة على الانتحار؟

- كلا. أن الأمر ابسط من هذا بكثير.

- لا..

- كان يعرف مالا يعرفه الآخرون.. كان يعرف أنها ليست سيدته.

أطلقت سليا صيحة دهشة فى حين استطرد بوارو يقول:

- كانت الخادمة، وهى لم تكن صماء فحسب، وإنما كانت ضعيفة البصر جدا، كانت ترى فى البيت امرأة ترتدى ثياب الليدى رافنسكروفت وباروكتها المميزة.. نفس الرجل ولكنه يلبس قبعة مختلفة.. هكذا قال جارووای.. وخطرت ببالى فكرة كالبرق.. (نفس الباروكة على رأس امرأة أخرى) أما الكلب فلم ينخدع.. تلك المرأة لم تكن السيدة التى يخلص لها.. كانت امرأة أخرى لم يكن يحبها وإنما كان يخشاها. ولكن إذا فرضنا أن هذه المرأة لم تكن مسز

رافنسكروفت إذن فمن عساها تكون؟.. أختها دوللي..

قالت سليا: ولكن هذا محال.

هز بوارو رأسه فى هدوء وقال بدون أى ارتباك:

– وأصل الآن إلى المعلومات التى جمعتها مسز اوليفر. قال البعض أن الليدى رافنسكروفت عولجت فى إحدى المستشفيات وأنها كانت مصابة بالسرطان أو أنها كانت تعتقد أنها مصابة به ويجب أن أقول الآن أن الأمر لم يكن كذلك وأنها لم تكن مصابة بأى مرض مشابه وذلك طبقا لتقرير الطب الشرعى. ثم علمت شيئا فشيئا قصة الأختين اللتين تحب كل منهما الأخرى كل الحب، كما هى الحال مع التوأم فى اغلب الأحيان. وكانت كل منهما تلبس وتتصرف بنفس الطريقة. وتزوجت كل منهما ضابط عسكرى. ولكن فيما بعد بدلا من أن يستمر الشبه. بينما أرادت كل منهما أن تختلف عن الأخرى. ووجد البعض سببا لهذا التغير الغريب فان اليستير رافنسكروفت كان قد احب فى البداية دوروثيا برستون جراى وهى ما تزال فتاة فى ريعان الشباب. ثم نقل حبه إلى مرجريت و تزوجها فيما بعد. وأحست دوللى عندئذ بغيرة مبرحة وبدأت تحس بالبغضاء نحو أختها فى حين ظلت هذه الأخيرة على حبها. ويمكن أن تفسر هذه النقطة أشياء كثيرة ولكن الواقع أن دوروثيا قدر لها أن تسير قدما إلى نهاية مفجعة لا بسبب غلطتها أو بسبب الظروف ولكن بحكم مولدها نفسه وعوامل الوراثة، فقد كانت متقلبة بطبيعتها، فمنذ حداثتها وبدون سبب معروف كانت تكره الأطفال، والمعتقد أنها مسئولة عن موت أحد أطفالها، وهو طفل صغير

فى الرابعة من عمره. ولم يكن هناك ضدها أى دليل قاطع ولكن المسألة كانت واضحة بما فيه الكفاية أمام الطبيب بحيث نصح بإدخالها إحدى المستشفيات. وعندما أعلن شفاؤها استأنفت حياتها العادية وأخذت تتردد على أختها وعندئذ وأثناء زيارة لها لليدى رافنسكروفت بماليزيا وقع الحادث الثانى وراح ضحيته طفل من الجيران.

وفى هذا الحادث أيضا لم يكن هناك أى دليل يدل على أن دوللى هى المسئولة. وأعادها سير اليستر إلى إنجلترا حيث أدخلت إلى المستشفى من جديد. وعندما غادرتها بعد أن شفيت فى الظاهر حاولت مرة أخرى أن تستأنف حياتها العادية. وكانت مرجريت قد عادت فى هذه الأثناء إلى إنجلترا هى وزوجها فظنت أنها تفعل خيرا إذا أخذتها تقيم معها حتى تسهل مراقبتها عن كثب واتقاء إى نكسة محتملة. ومع ذلك فإننى لا اعتقد أن الجنرال رافنسكروفت كان مستريحا لهذا الحل، وأظن انه كان يعتقد أن أخت زوجته لا يرجى شفاؤها وأنها لابد ستنتكس ذات يوم.

– هل تقصد أن تقول هى التى قتلت الجنرال وزوجته؟.. هذا غير معقول لأنها ماتت قبل ذلك بثلاثة أسابيع.

– كلا. ولكنها قتلت أختها بان ضربتها بحجر ثقيل ثم دفعت بها إلى الفضاء ذات يوم وهما تتنزهان فى طريق الشاطئ الصخرى. فقد استيقظ الحقد والبغضاء الهاجعان فى أعماقها واللذان كانت تحس بهما نحو أختها السليمة العقل. ولكننى اعتقد أن هناك من كان يعلم ذلك.. وأعنى به شخص كان يقيم فى اوفركليف فى نفس الوقت.. كنت

أنت تعرفين ما حدث يا آنسة مورا، أليس كذلك؟

- نعم. كنت اعلم، كان الجنرال وزوجته يشعران بالقلق منذ وقت طويل فقد حاولت دوللى أن تجرح ابنهما الصغير إدوارد وكان مريضا وقضى بالبيت نحو ستة اشهر برفقة مدرس. وقرر سير اليستر أن يرسل ابنه إلى مدرسته وسليا إلى سويسرا. أما أنا فعدت بعد ذلك لكى أبقى بصحبة الليدى رافنسكروفت.

وأحسسنا جميعا بالهدوء والاطمئنان بعد أن ابعد الطفلان ثم وقعت المأساة ذات يوم.

(كانت الأختان قد خرجتا معا ودهشنا أنا وسير اليستر عندما رأيت دوللى تعود وحدها. كانت تبدو غريبة وعصبية اكثر من المعتاد. وعندما أخذت مكانها أمام المائدة عند إعداد الشاى لاحظ سير اليستر أن يدها ملوثة بالدم. وعندما سألها إذا كانت قد وقعت أجابته تقول: (اوه، ليس هذا بشئ. لا شئ أبدا. أردت أن اقطف زهرة فجرحت) ولو أنها تكلمت عن شئ آخر غير الزهور لبدا الأمر معقولا.

ولكن ردها أفزعنا أيما فزع لأنه لم تكن هناك زهور بجوار البيت. وخرج سير اليستير راكضا. وتبعته. وكان لا يكف عن القول: (لقد حدث شيئا لموللى وأنا واثق من هذا). ولم يكن مخطئا للآسف. وعثرنا عليها فوق صخور الشاطئ. وكانت لا تزال على قيد الحياة، ولكنها كانت قد فقدت الكثير من دمها، ولم ندر ماذا نفعل ولم نجرؤ على نقلها إلى البيت. كان كل ما فى مقدورنا أن نفعله هو استدعاء الطبيب، ولكن قبل أن أتمكن من الابتعاد خطوة واحدة لكى أتكلم فى التليفون

تشبثت بزوجها وقالت لاهثة: (نعم. إنها دوللى. ولكنها لم تكن تدرى ما تفعل لا يجب أن نتركها تتحمل نتيجة عملها هذا. إنها ليست مسئولة. لم تعرف أبدا لماذا تفعل هذه الأشياء. فان الأمر أقوى منها.

(يجب أن تعدنى يا اليستير. إننى سأموت. كلا، كلا. ليس هناك وقت لاستدعاء الطبيب، ثم انه لن يستطيع أحد أن يفعل شيئا فقد فقدت الكثير من دمى ولن أعيش طويلا. إننى اعلم ذلك. ولكن عدنى. عدنى انك ستنقذها، وانك لن تترك البوليس يلقى القبض عليها. عدنى انهم لن يحاكموها وأنها لن تقضى بقية أيامها فى السجن كالمجرمين، خبئنى فى مكان ما حتى لا يعثروا على جثتى، أرجوك. هذا آخر شئ اطلبه منك. أنت الذى احبه اكثر من أى شىء آخر. اقسم لى، وأنت أيضا يا زيليا، اعرف انك تحبيننى وانك تحبين الطفلين، كنت دائما كريمة معنا جميعا. يجب أن تنقذا دوللى المسكينة. أرجوكما.. يجب أن تنقذا دوللى المسكينة. أرجوكما. يجب إنقاذها.

وأمسكت الآنسة مورا وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

وسألها بوارو فى رفق: وماذا فعلت؟

– ماتت الليدى رافنسكروفت بعد بضع دقائق من تفوهها بالكلمات الأخيرة التى كررتها عليكم. وعاونت سير اليستير فى نقل جثمانها إلى وسط الصخور وأخفيناها بقدر ما استطعنا وقال سير اليستير: (إننى وعدت، ويجب أن أوفى بوعدى. ولكننى لا أدرى كيف افعل، وكيف أنقذ دوللى) وعدنا إلى البيت.

وكانت دوللى ما تزال هناك، وكانت تكاد تموت من الفزع وتنم

عيناها فى نفس الوقت عن ارتياح كبير وقالت: (عرفت دائما أن موللى كانت تجسد الشر وقد انتزعتك منى يا اليستير. كنت لى ولكنها حولتك عنى وأفلحت فى أن تحملك على الزواج منها. ولكننى كنت اعرف دائما إننى سأنتقم وأنا خائفة الآن. ماذا سيفعلون بى؟ لا يمكن أن يحبسونى من جديد وإلا جننت. قل لى يا اليستير. انك لن تدعهم يأخذوننى ويتهمونني بجريمة القتل. ومع ذلك فإنها لم تكن جريمة قتل. كان لابد لى أن أتصرف كهذا. لم اكن أستطيع أن افعل غير ذلك. هناك لحظات يجب أن افعل فيها شيئا بالذات. وكنت أريد أن أرى الدم.. دمها هى. ولكننى لا أستطيع الانتظار حتى تموت فهربت. ولكننى كنت اعرف أنها ستموت، وكنت أرجو أن لا تعثر على جثتها هكذا حالا.

سيقولون انه حادث وأنها وقعت من الشاطئ.

قال ديسموند: هذه قصة فظيعة.

وتمتمت سليا: نعم. ومع ذلك فإننى افضل أن اعرفها.. ولكن ماذا فعلتما يا زيليا.

– كنا نرجو أن لا يعثروا على الجثة فورا لأنه لم يكن هناك أى طريق يؤدى إلى المكان الذى أخفيناها فيه. وكنا نحسب أننا ربما استطعنا أن ننقلها فيما بعد ليلا إلى مكان مناسب يحمل الناس على الظن بأنها وقعت فى البحر. ثم فكرنا فى قصة السير أثناء النوم وقال سير اليستير:

– هذا فظيع، ولكننى وعدت.. أقسمت دوللى وهى تجود بنفسها

الأخير. أقسمت أن افعل ما طلبته منى، وليست هناك وسيلة لإنقاذ دوللى ما لم تقبل أن تقوم بدورها. ولكننى أتساءل هل تستطيع ذلك؟ فسألته أية وسيلة؟.. (هو أن تأخذ مكان موللى وان ندعى أنها هى التى وقعت فوق الصخور وهى تمشى أثناء النوم).

وهذا ما فعلناه. مضينا بدوللى إلى بيت قديم غير مسكون منذ وقت طويل، وبقيت معها بضعة أيام، وقال اليستير أن زوجته تعانى من صدمة شديدة على اثر موت أختها وانه نقلها إلى المستشفى ثم أتينا بدوللى فى الوقت المناسب وقد ارتدت ثياب موللى وباروكتها. وذهبت أنا إلى لندن حيث اشتريت باروكتين بخصلات قصيرة لكى تبدو كما لو كانت هى موللى نفسها. وكانت الأختان تتشابهان بما فيه الكفاية بحيث أن الخادمة العجوز جانيت، لم تستطع أن تدرك الخدعة. وحسب الجميع انهم أمام موللى وأنها لا تزال تعانى من الصدمة التى أصيبت بها بحيث لم يستغرب أحد من تصرفاتها على الرغم من غرابتها. ويجب أن أوضح انه لم يكن فى الاستطاعة التمييز بين صوت الأختين كذلك حيث بدا كل شئ طبيعيا. وكان هذا افظع ما فى الأمر.

لا افهم كيف استطعتما التخلص من هذه الورطة دون أن يشك أحد فى شئ.

لم تجد دوللى دورها صعبا لسبب بسيط هو أنها أصبحت تملك ما كانت تتمناه طوال حياتها.. اصبح اليستير ملكا لها.

ولكن كيف استطاع هو احتمال الموقف؟

فى اليوم الذى عزمت فيه على العودة إلى سويسرا أطلعنى على ما

ينوى أن يفعل.

قال لى (إننى وعدت موللى أن لا اسلم أختها للبوليس حتى لا يعلم أحد إنها قاتلة وحتى لا يعرف الطفلان شيئا أبدا. لا حاجة لأحد أن يعــرف أى شئ. كـانت مـصــابة بداء المشى أثناء النوم ووقـعت فـوق الصخور. كان ذلك حادثا وقع قضاء وقدرا ولا شئ غيـر ذلك). وسألته عندئذ: (كيف تستطيع أن تقبل هذا). فقال: (إننى احتمله بسبب ما أنوى الإقـدام عليــه يجب أن تموت دوللى لأننا إذا تركناها بجــوار الطفلين فستقع حوادث أخرى. أنها ليست جديرة بان تعيش. ولكن بعد ذلك يجب أن ادفع حياتى ثمنا للعمل الذى سأقدم عليه. سأبقى معها هنا وستقوم بدور زوجتى لبضعة أسابيع ثم.. تقع مأساة ثانية. سيقتنع الجميع بأننى انتحرت أنا وموللى.وسيظنون أن واحدا منا كان مصابا بالسرطان وسيفكرون فى مرض عضال. وسيدلون بنظريات مختلفة ولكن أحدا لن يعرف السبب الحقيقى للمأساة. أعدك أن لا تتألم دوللى. سأقتلها بعيار نارى ثم انتحر بعدها، وسيجدون بصماتها مع بصـمـاتى فـوق المسـدس لأنهـا امـسكتـه منذ أيام قـلائل. لابد من القصاص وأنا الوحيد الذى يمكن أن يفعل ذلك دون الإساءة إلى ذكرى دوللى. ولكن أريد أن تعلمى يا زيليا إننى احبهما ومازلت احبهما.. كلاهما.. موللى اكثر من حياتى ودوللى لأنى أرثى لها لأنها ولدت هكذا. تذكرى هذا دائما..

ونهضت زيليا واقتربت من سليا وقالت:

– انك تعرفين الحقيقة الآن، كنت قد وعدت أباك أن أكتمها إلى

الأبد، وقد عجزت عن الوفاء بوعدى ولم يكن فى نيتى أن افعل، ولكن مستر بوارو كان قد أدرك كل شئ وأقنعنى أن اذكر كل ما اعرفه..

أجابت الفتاة:

– إننى افهم شعورك، ولكننى مسرورة لأننى عرفت وأحس بأننى تخلصت من حمل كان يثقل كاهلى. عندما كنت طفلة كانت دوللى تخيفنى كثيرا ولكننى لم اعرف لماذا. وقد فهمت الآن، وارى أن أبى كان شجاعا، إذ فعل ما فعل. وإذا كان قد اخطأ فيمكننا أن نغفر له ولكننى لا أظن انه اخطأ. لقد وفا بوعده لزوجته وأنقذ دوللى. إنها لم تكن مسئولة عن أعمالها وسأحاول أن أفكر فيها بطيبة اكثر.

اقترب ديسموند من الفتاة وقال:

– سنتزوج بأسرع ما يمكن، ولكننى أستطيع أن أعدك بشئ واحد وهو إن أمى بالتبنى لن تعرف شيئا أبدا.

وكان بوارو قد ابتعد قليلا مع زيليا فسألها: لعلك لا تلومينني كثيرا لأننى أتيت وأقنعتك بالمجئ لتوكيد الحقيقة التى اكتشفتها.

– كلا. انك أحسنت صنعا.. بسبب هذين الشابين المتحابين.. انهما متكافئين وسيكونان سعيدين.

لزمت المرأة الشابة الصمت لحظة قبل أن تستطرد قائلة:

– هنا فى هذا المكان الذى نحن فيه عاشا وماتا شخصان كانا يتحابان هما الآخران. لا اعرف إذا كان اليستير قد اخطأ بما فعل ولكننى لا أستطيع أن ألومه.

– كنت تحبينه أنت أيضا . أليس كذلك؟

– نعم. أحببته منذ يوم ذهبت فيه إلى اوفركليف كنت احبه فى رفق ولا أظن انه عـرف ذلك أبدا ولكنه كـان يثق بى ويشـعـر بالود نحـوى. وكنت احبهما معا هو وموللى.

– هناك شيئا احب أن أسألك إياه.. كان يحب كل منهما، أليس كذلك؟

– حتى آخر رمق فى حياته. نعم. احب كل منهما .

ولهذا السبب أراد،كما أرادت موللى أن ينقذ أختها. أما من منهما عزها اكثر من الأخرى فهذا ما لم اعرفه أبدا ولن اعرفه.

تفـرس بوارو فيـها لحظة ثم ابتعـد فى خطوات بطيـئة لكى يلحق بمسز اوليفر وقال: علينا أن نعود إلى لندن الآن.. أن نعود إلى حياة كل يوم، وان ننسى مآسى القلب وأشجانه.

أجابتـه الكاتبـة: إن الأفيـال لا تنسى. ولكننـا بشـر والبشـر ينسـون واحمد الله على ذلك.

